المؤمن الضعيف

تأليف
الشيخ الفاضل
أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام

المؤمن الضعيف

تأليف
الشيخ الفاضل
أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧ـ٢٠٠٦م

مركز دار الحديث – معبر
اليمن – ذمار
تلفاكـــــس: ٠٦/٤٣٠٢٨٠

تمت الطباعة والإخراج
المتخصص للطباعة والنشر
صنعاء – (٧٧٧٢٥٥١٣١) (٢٢٠٧٤٥/٠١)

المقدمة

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن الله قد اصطفى بالإيمان والإسلام من يشاء من العباد، وهم في إيمانهم على درجات متفاوتة تفاوتاً عظيما، فمنهم القوي في إيمانه ومنهم الضعيف ومنهم ما بين ذلك. فقوة الإيمان تتحقق في المؤمن بالقيام بشعبه كافة، وبقدر ما يحصل من التفريط في شعبة، من شعبه أدى ذلك إلى ضعف الإيمان، حسب التفريط قلة وكثرة. وقد عظم ضعف كثير من المؤمنين في عصرنا ونتج عن هذا الضعف أضرار عظيمة لحقت بالمسلمين، فمنها العامة والخاصة، ومنها دينية ودنيوية وأخروية، كما سترى ذلك في أثناء هذه الرسالة. فوطن نفسك – يا مؤمن – على فهم ضعف إيمانك وعلى فهم تقويته، فهماً مقتبساً من الكتاب والسنة، واجعل ذلك نصب عينيك؛ لتسعى في مجاهدة نفسك وتقوية إيمانك، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ومن باب الإعانة والمشاركة في بيان ما يتعلق بضعف المؤمنين قمت بكتابة هذه الرسالة، والتي سميتها: «المؤمن الضعيف» فاجعلها بين يديك ونصب عينيك؛ للاستفادة منها، فهي وأمثالها نعم الزاد لأهل الرشاد، ونعم المعين للمؤمنين على التمسك بالحق والسير على صراط الله المستقيم، لا شرقية ولا غربية، ولا حزبية ولا عصبية قبلية، بل طاعة نبوية وشريعة محمدية. ولم يكن قصدي في هذه الرسالة الإحاطة بكل ما يتعلق بضعف المؤمن، وإنما أردت أن أذكر ما به يتضح الأمر وتنجلي الحقيقة، أذكر الداء وأدعو إلى أخذ الدواء، فجاءت هذه الرسالة – بعون الله – موقظة للغافل ومعلمة

للجاهل ومنشطة للمتكاسل، ومقوية للعامل، ورادعة لصاحب الباطل، وداعية إلى اللحاق بالأفاضل، ومحذرة من الاقتداء بكل كائد مجادل. وقد حرصت على أن تكون الأحاديث المستدل بها في هذه الرسالة ثابتة.

فالله أن أسأل أن يجعلها نافعة وشافية كافية، وأن يتقبلها مني بقبول حسن، وأن يعفو عن كل زلل، وكان الانتهاء من إعداد هذه الرسالة في ستة وعشرين من شهر ذي القعدة لعام (١٤٢٨هـ). والله أسأل أن يبارك في كل من أعانني على إكمال هذه الرسالة، وأن يبارك في من ساعد في طباعتها ونشرها، وأن يصلح له أهله وذريته.

وكتب
محمد بن عبد الله الإمام
دار الحديث – معبر

الفصل الأول

الكلام على عموم الضعف وأقسامه

تعريف الضعف:

في لسان العرب ٨/ ٦١-٦٢: (الضَّعف والضُّعف - بفتح الضاد وضمها – خلاف القوة. وقيل: الضُّعف بالضم في الجسد، والضَّعف بالفتح في الرأي والعقل. وقيل: هما معا جائزان في كل وجه). اهـ .

الأصل في الإنسان: الضعف

قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٨] قال الحافظ ابن كثير في تفسيره عند الآية المذكورة: (فناسبه التخفيف؛ لضعفه في نفسه، وضعف عزمه وهمته).

وقال العلامة السعدي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٨] أي: بسهولة ما أمركم به و ما نهاكم عنه، ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم ونحوهما للمضطر، وكتزوج الأمة للحر... وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر).

وقد تقدم قبل قليل كلام ابن القيم، فراجعه؛ فإنه مهم.

وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤].

قال العلامة الشنقيطي في "أضواء البيان" (٦/ ٥٣٩) وهو يشرح الآية المذكورة: "قد

بين الله تعالى الضعف الأول الذي خلقهم منه في آيات من كتابه، وبين الضعف الأخير في آيات أخر، قال في الأول: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[المرسلات: ٢٠]، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[النحل: ٤] .

وقال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾[يس: ٧٧] .

وقال تعالى:﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾[الطارق: ٥ - ٦].

وقال تعالى:﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾[المعارج: ٣٩] إلى غير ذلك من الآيات. وقال في الضعف الثاني:﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾[النحل: ٧٠]،

وقال:﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[يس: ٦٨]، إلى غير ذلك من الآيات، وأشار إلى القوة بين الضعفين في آيات من كتابه، كقوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[يس: ٧٧]. اهـ .

الضعف الذاتي في عموم الناس:

كل عباد الله ضعفاء ضعفا ذاتيا، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٢٨]

قال العلامة ابن القيم عند هذه الآية في كتابه "طريق الهجرتين" (ص:١٨٥) بعد أن ذكر أقوال المفسرين: (والصواب أن ضعفه – أي: الإنسان – يعم هذا كله. وضعفه أعظم من هذا وأكثر؛ فإنه ضعيف البنية ضعيف القوة ضعيف الإرادة ضعيف العلم ضعيف الصبر، والآفات إليه مع هذا الضعف أسرع من السيل في صيب الحدور، فبالاضطرار لا بد له من حافظ معين يقويه ويعينه وينصره ويساعده، فإن تخلى عنه هذا المساعد المعين، فالهلاك أقرب إليه من نفسه. وخلقه على هذه الصفة هو من الأمور التي يحمد عليها الرب سبحانه، ويثنى عليه بها، وهو موجب حكمته وعزته، فكل ما يحدث من هذه الخلقة ويلزم عنها فهو بالنسبة

إلى الخالق سبحانه خير وعدل وحكمة؛ إذ مصدر هذه الخلقة عن صفات كماله من غناه وعلمه وعزته وحكمته ورحمته. وبالنسبة إلى العبد تنقسم إلى خير وشر وحسن وقبيح، كما تكون بالنسبة إليه طاعة ومعصية وبرا وفجورا، بل أخص من ذلك، مثل: كونها صلاة وصياما وحجًّا وزناً وسرقة وأكلا وشربا؛ إذ ذاك موجب حاجته وظلمه وجهله وفقره وضعفه، وموجب أمر الله ونهيه).

ويعبر عن الضعف بافتقار العباد إلى الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

قال العلامة ابن القيم في(طريق الهجرتين) (ص:٢٣): "والمقصود أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدسة، وحقيقته أنه غني حميد. فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي؛ فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيا، كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدا والرب إلا ربا".

وقال أيضا في "الروح" (ص:١٥٠):"وهذا الخطاب بالفقر إليه للأرواح والأبدان ليس هو للأبدان فقط".

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

قال العلامة ابن القيم في كتابه "إعلام الموقعين" (٢/ ٣١٢-٣١٣) بعد أن ذكر أقوال المفسرين: (والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع، فضعف العابد والمعبود، والمستلب

والمستلب. فمن جعل هذا إلها مع القوي العزيز، فما قدره حق قدره، ولا عرفه حق معرفته، ولا عظمه حق تعظيمه).

وقال ابن عاشور في "التحرير"(١٧/ ٣٤٢): (أي: ضعف الداعي والمدعو، إشارة إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣] أي: ضعفتم أنتم في دعوتهم آلهة، وضعفت الأصنام عن صفات الإله).

الفصل الثاني: الضعف الحاصل في المؤمنين

أنواعه ـ أصوله ـ أسبابه – عواقبه

ضعف المؤمنين وقوتهم بقضاء الله وقدره

اعلم – أخا الإسلام – أن كل شيء بقضاء الله وقدره، حتى قوة المؤمن وضعفه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في تفسير هذه الآية (ص:٢٩٢): (وفي هذه الآية الكريمة دليل على أن الإنسان مخلوق لله تعالى، وأن أفعاله مخلوقة لله، وأن كل شيء قد قدر وانتهى).

وروى الإمام مسلم رقم (٢٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ**».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٥٨٢):"معناه: أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته".

وقال الطيبي: "قوبل الكيس بالعجز على المعنى؛ لأن المقابل الحقيقي للكيس: البلادة، والعجز القوة. وفائدة هذا الأسلوب: تقييد كل من اللفظين بما يضاد الآخر، يعني: حتى الكيس والقوة والبلادة والعجز من قدر الله، فهو رد على من يثبت القدرة لغيره تعالى مطلقا، ويقول: إن أفعال العباد مستندة إلى قدرة العبد واختياره". "فيض القدير" للمناوي (٥/ ٢٢).

الضعف في المؤمنين يكون على قسمين: ديني ودنيوي

عموم الضعف في المؤمنين يرجع إلى ضعف في الدين وهو المعنوي، وضعف في أمور الدنيا وهو الحسي، ومن المؤمنين من يجتمع فيه الضعفان. فأما الضعف في الدين فأصنافه اثنان: فقراء طالحون وأغنياء طاغون، فهؤلاء فقراء في الدين. وأما الضعفاء في الدنيا فاثنان أيضا: فقراء صالحون وفقراء فاسدون، والفقراء المنحرفون اجتمع فيهم الضعفان أيضا.

روى البخاري رقم (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣) من حديث حارثة بن وهب ﷺ أن النبيﷺ قال: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ. أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**».

قال الحافظ في الفتح (٨/ ٨٤٦): "والمراد بالضعيف: من نفسه ضعيفة؛ لتواضعه وضعف حاله في الدنيا. والمستضعف: المحتقر؛ لخموله في الدنيا".

قلت: فالحديث دل على الضعف الحسي والمعنوي الممدوحَين، فالضعف في الدين إذا كان بمعنى التواضع فهو ممدوح، والضعف الحسي إذا أجبر بالقوة الإيمانية فهو ممدوح. فالفقراء من جهة قلة المال وأمثاله من أمور الدنيا، مع صبرهم وتقواهم، فهم ممدوحون على صبرهم وتقواهم، ولا يضرهم هذا الضعف.

ضعف المؤمن كسبي ووهبي

ما من مؤمن ضعيف إلا ويجتمع فيه الضعفان: الكسبي والوهبي، أما الوهبي فهو: خلق الله إياه ضعيفا بدنا وروحا، كما قال الله: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] وقد تقدم بيان ذلك في بيان الضعف الذاتي في عموم الناس، ولا يصلح له إلا هذا الضعف؛ لأنه مقتضى حكمة الله ورحمته، وأما الكسبي فهو: ما يكتسبه المؤمن من أقوال وأعمال تدل على ضعف إيمانه. فالتفاوت في ضعف المؤمنين وقوتهم هو بسبب قبول أسباب ضعف الإيمان أو

قبول أسباب قوته، فإذا سعى المؤمن في إزالة ضعفه بمقتضى الأسباب المزيلة له، توصل إلى إزالة الضعف الذي يضر به، وهو الكسبي، ولا يضره الضعف الأول، وهو الوهبي؛ لأن ما يصل به إلى درجة الكمال هو الإقبال على ما يتحقق به كمال إيمانه.

المؤمن الضعيف يجتمع فيه الضعف الحقيقي والنسبي

الضعف ضعفان: حقيقي ونسبي، وهما في كل المؤمنين الضعفاء، فالضعف الحقيقي هو ما عده الشرع المطهر مضرا بصاحبه في الدنيا والآخرة، سواء كان الضرر جزئيا أو كليا. وهو محصور في ترك ما أوجب الله، أو ارتكاب ما حرم الله. فمن وقع في شيء من هذا فضعفه متحقق لا محالة.

وأما الضعف النسبي فهو ما عده الشرع ضعفا، ورخص به وعذر من نسب إليه، كالضعف الحاصل بسبب الرهبة من العدو وضعف قلة الصبر على مجالدة عشرة من الكفار، وأمثال هذا؛ لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها، قال تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦] مع أن قبلها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[الأنفال: ٦٥]. وعلى هذا الاصطلاح فمن الضعف في المؤمن ما يكون حقيقيا ونسبيا في آن واحد، وهذا في المؤمن الضعيف، وأما المؤمن القوي فيكون فيه النسبي فقط.

تنبيه: اخترت اصطلاح نسبي بدل مجازي؛ لأن اصطلاح المجاز محل نظر؛ لعدم وجود الدليل الناهض فيه بالنصية أو بالظاهر، خصوصا أن اصطلاح المجاز قد جعل طاغوتا يحرف به كلام الله وكلام رسوله؛ فلينزه القرآن والسنة عن نسبة المجاز إليهما. وقد بينا بطلان اصطلاح المجاز في كتابنا "بداية الانحراف ونهايته".

ضعف المؤمن على قسمين: ضعف ظاهر، وضعف خفي

ما من مؤمن ظهر الضعف عليه إلا وكان ضعفه في الباطن أشد من ضعفه الظاهر، وضعف الباطن هو أصل الضعف في الظاهر، روى الإمام البخاري رقم (٥٢) ومسلم رقم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**» قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٦٩):"والقلب إذا تفرق ضعف فعل الجوارح، وإذا اجتمع قوي".

الضعف الذي ابتلي به كثير من المؤمنين إما في الأمور العلمية أو العملية:

ضعف المؤمن إما من جهة الأمور العلمية. أو العملية فكماله في الأمور العلمية يتحقق بتعلم الإيمان ومقتضاه، وكماله في الأمور العملية يتحقق بالقيام بالأعمال الصالحة. وأكثر تفريط المؤمنين هو في إحدى القوتين؛ لأن المؤمنين لا يزال فيهم من يتعلم الحق ولا يعمل به على الوجه الشرعي، ولا يزال فيهم من يعمل بدون علم شرعي. وقد بين النبي ﷺ أن ضعف المؤمنين في الأمور الدينية العملية سابق على الضعف في الأمور العلمية.

فعن عوف بن مالك ﷺ أنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، فنظر في السماء، ثم قال: «**هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ**» فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد: أيرفع العلم يا رسول الله، وفينا كتاب الله، وقد علمناه أبناءنا ونساءنا؟! فقال رسول اللهﷺ: «**إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّكَ مِنْ أَفْقَهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ**». ثم ذكر ضلالة أهل الكتاب وعندهما ما عندهما من كتاب الله عز وجل. فلقي جبير بن نفير شداد بن أوس بالمصلى، فحدثه هذا الحديث عن عوف بن مالك فقال: صدق عوف. ثم قال: وهل تدري ما رفع العلم؟ قال: قلت: لا أدري قال: ذهاب أوعيته. قال: وهل تدري أي العلم أول أن يرفع؟ قال: قلت: لا أدري. قال: الخشوع، حتى لا تكاد ترى خاشعا). رواه أحمد (٦/ ٢٦-٢٧). وهو صحيح.

وإليك من كلام العلامة ابن القيم في بيان حصول القوة العلمية والعملية، اللذين بهما غاية كمال المؤمن ونهايته، قال في كتابه "مفتاح دار السعادة" (١/ ٢٣٨-٢٣٩) وهو يشرح قول الشافعي: (لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم)- يعني سورة العصر- (وبيان ذلك أن المراتب أربع وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله: إحداها: معرفة الحق، الثانية: عمله به، الثالثة: تعليمه من لا يحسنه، الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه... وهذا نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره وتعليمه إياه وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل).

بداية ضعف المؤمن ونهايته

من المعلوم أن الضعف في الإيمان يجر إلى ضعف آخر. وهكذا يتجدد الضعف تارة ويتتابع تارة، حتى يصل بصاحبه إلى نهاية لا يتوقعها المؤمن، وقد دلت الأدلة على هذه البداية والنهاية، فليعقلها كل عاقل لبيب.

فعن حذيفة ﷺ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ؛ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، **فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، صِفْهُمْ لَنَا! فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى**

ذَلِكَ» رواه البخاري رقم (٣٦٠٦)، واللفظ له ومسلم رقم (١٨٤٧).

وهذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ لأن الرسول أخبر عن أمور غيبية، فوقعت كما أخبر، ومن أجل هذا ذكره العلماء في علامات النبوة. وشاهدنا من الحديث قوله: (فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم) فهذه بداية الشر، وقوله: (دعاة على أبواب جهنم) هذه نهايته، ويظهر منها الدعوة إلى أنواع من الضلالات ومنها الكفر، ولهذا ذكر الشراح أنه يدخل في هذه الجملة (دعاة على أبواب جهنم): الخوارج والقرامطة وهكذا أقول: يدخل فيها الدعاة إلى الإلحاد في عصرنا من أبناء جلدتنا من شيوعيين وعلمانيين (أي: لا دينيين) وغيرهم من الزنادقة، فالوصول إلى الإلحاد والزندقة أبعد نهاية يصل إليها ناقض دينه.

وروى الإمام أحمد (٥/ ٢٥١) وابن حبان رقم (٦٦٨٠) والبيهقي في الشعب رقم (٧٥٢٤) والطبراني في الكبير رقم (٧٤٨٦) وفي الشاميين رقم (١٦٠٢) عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلاَمِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِى تَلِيهَا. وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلاَةُ**». وهو حديث حسن.

وقد جاء عن فيروز الديلمي عند أحمد (٤/ ٢٣٢) وهو صحيح، وهذا الحديث عَلَم من أعلام النبوة؛ لأن النبي ﷺ أخبر عن أمر غيبي، فتحقق كما أخبر. والحديث فيه بداية نقض عرى الإسلام، فأول عروة من عراه تُنقض عدم تحكيم السنة النبوية، كما قاله غير واحد من السلف، ويستمر هذا النقض لعرى الإسلام، حتى ينقض بعض المسلمين الصلاة، واعتبر بهذا بما يجري في عصرنا؛ فكثير من المسلمين قد نقضوا الصلاة، فهم لا يصلون إلا في الجمع أو في رمضان. فهذه نهاية بعض ضعفاء الإيمان.

ومن النهايات التي يصل إليها المؤمن الضعيف موت قلبه قال العلامة ابن القيم في "مدارج السالكين" (٣/ ٢١٤): (وكما أن الله سبحانه جعل حياة البدن بالطعام والشراب،

فحياة القلب بدوام الذكر والإنابة إلى الله وترك الذنوب. والغفلة الجاثمة على القلب والتعلق بالرذائل والشهوات المنقطعة عن قريب، يضعف هذه الحياة. ولا يزال الضعف يتوالى عليه حتى يموت، وعلامة موته أنه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا).

انظر – أيها المؤمن الضعيف – إلى أين يبلغ الضعف بصاحبه؛ فلا تأمن من أن الضعف يشتد فيك خصوصا عند الفتن، ويصل بك إلى نقض آخر معقل من معاقل دينك كالصلاة وغيرها!! فاتق الله، ولا تتهاون بشيء من دينك!

الأدلة النصية على ضعف إيمان المؤمن

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ. وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**» أخرجه مسلم رقم (٤٩).

ولأهل العلم كلام نفيس في بيان عظمة الحديث، قال النووي في شرح مسلم (٢/ ٢٤): (هذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام).

وقال ابن رسلان في "الفتوحات الوهبية" (ص: ٤٣) عن هذا الحديث: (من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام؛ لأن أعمال الشريعة: إما معروف يجب الأمر به، أو منكر يجب النهي عنه، فهو نصف بهذا الاعتبار). نقلا من كتاب "الإلمام بدراسة الأحاديث التي عليها مدار الإسلام" (ص: ٤٣٣).

وقال ابن حجر الهيتمي: (هذا الحديث يصلح أن يكون ثلث الإسلام). وذكر كلاما ثم قال: (فعليه كان المناسب أن يقال: إنه كل الإسلام لا نصفه). نقلا من المصدر السابق (ص:٤٣٣).

وقال صاحب "الجواهر اللؤلؤية" (ص: ٢٣١): (هذا الحديث قاعدة من قواعد الدين.

وظاهره أن الإنسان يلزمه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حسب الاستطاعة). نقلا من نفس المصدر السابق (ص:٤٣٢).

وقريب من هذا الحديث حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ. ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ. فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ. وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**». أخرجه مسلم برقم (٥٠) وأحمد (١/ ٤٥٨).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ، كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**». رواه مسلم حديث رقم: (٢٦٦٤)، وأحمد (٢/ ٣٧٠،٣٦٦).

فحري بكل مسلم ومسلمة أن يعتني بفهم هذا الحديث.

قال ابن الأمير الصنعاني رحمه الله في سبل السلام (٤/ ٣٩٨): (المراد من القوي: قوي عزيمة النفس في الأعمال الأخروية؛ فإن صاحبها أكثر إقداما في الجهاد، وإنكار المنكر، والصبر على الأذى في ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله، والقيام بحقوقه، من الصلاة والصوم وغيرهما. والضعيف بالعكس من هذا، إلا أنه لا يخلو عن الخير؛ لوجود الإيمان فيه).

وقال السعدي رحمه الله في كتابه "بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار" (ص:٦٨): (هذا الحديث اشتمل على أصول عظيمة، وكلمات جامعة).

وقال أيضاً (ص:٦٩-٧٠): (وفي هذا الحديث أن المؤمنين يتفاوتون في الخيرية، ومحبة

الله، والقيام بدينه، وأنهم في ذلك درجات ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾[الأحقاف: ١٩]).

وقال الشيخ الفوزان، كما في"المنتقى من فتاوى الفوزان"(٥/ ٣٨٠-٣٨١): **(ومعناه:** أن المؤمن القوي في إيمانه، والقوي في بدنه وعمله خيرٌ من المؤمن الضعيف في إيمانه أو الضعيف في بدنه وعمله؛ لأن المؤمن القوي ينتج ويعمل للمسلمين، وينتفع المسلمون بقوته البدنية وبقوته الإيمانية وبقوته العملية، ينتفعون من ذلك نفعًا عظيمًا في الجهاد في سبيل الله، وفي تحقيق مصالح المسلمين، وفي الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وإذلال الأعداء والوقوف في وجوههم، وهذا ما لا يملكه المؤمن الضعيف، فمن هذا الوجه كان المؤمن القوي خيرًا من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، كما يقول النبي ﷺ. فالإيمان كله خير، المؤمن الضعيف فيه خير، ولكن المؤمن القوي أكثر خيرًا منه لنفسه ولدينه ولإخوانه المسلمين).

الأدلة العامة في القرآن على المؤمن الضعيف

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[الحج: ١١].

روى البخاري رقم (٤٧٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾[الحج: ١١].

قال: (كان الرجل يقدم المدينة فيسلم، فإن ولدت امرأته غلاما، ونتجت خيله، قال: هذا دينٌ صالح. وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

قال العلامة ابن القيم عند هذه الآية: (ثم ذكر سبحانه حال من دخل في الإيمان على

ضعف عزم وقلة صبر وعدم ثبات على المحنة والابتلاء، وأنه إذا أوذي في الله – كما جرت به سنة الله، واقتضت حكمته من ابتلاء أوليائه بأعدائه، وتسليطهم عليهم بأنواع المكاره والأذى– لم يصبر على ذلك وجزع منه وفر منه ومن أسبابه، كما يفر من عذاب الله، فجعل فتنة الناس له على الإيمان وطاعة رسله كعذاب الله لمن يعذبه على الشرك ومخالفة رسله. وهذا يدل على عدم البصيرة، وأن الإيمان لم يدخل قلبه ولا ذاق حلاوته، حتى سوى بين عذاب الله له على الإيمان بالله ورسوله وبين عذاب الله لمن لم يؤمن به وبرسله. وهذا حال من يعبد الله على حرف واحد لم ترسخ قدمه في الإيمان وعبادة الله فهو من المفتونين المعذبين، وإن فر من عذاب الناس له على الإيمان). "بدائع التفسير" (ص:٣٦٩).

والأدلة من القرآن على الضعف الكائن في بعض المؤمنين كثيرة، أكتفي بما ذكرت.

الأدلة المعنوية من السنة النبوية على المؤمن الضعيف

الأدلة النبوية المعنوية الدالة على ضعف المؤمن كثيرة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟**». **فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ**» رواه الترمذي رقم (٢٢٦٣) وأحمد (٢/ ٣٦٨) واللفظ له. وهو صحيح.

قال الماوردي: (يشير بهذا الحديث إلى أن عدل الإنسان مع أكفائه واجب وذلك يكون بثلاثة أشياء: ترك الاستطالة، ومجانبة الإذلال، وكف الأذى؛ لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإذلال أعطف، وكف الأذى أنصف. وهذه أمور إن لم تخلص في الأكفاء أسرع فيهم تقاطع الأعداء؛ ففسدوا وأفسدوا) نقلا من كتاب "فيض القدير" (٣/ ١٠٢).

وعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عند الله خزائن للخير والشر، مفاتيحها الرجال فطوبى لمن جعلته مفتاحا للخير مغلاقا للشر! وويل لمن جعلته مغلاقا**

للخير مفتاحا للشر!» رواه ابن ماجه رقم (٢٣٨) وأبو يعلى رقم (٧٥٢٦) واللفظ له والطبراني رقم (٥٩٥٦). وجاء عن أنس عند ابن ماجه برقم (٢٣٧) وجاء مرسلا عند ابن المبارك في "الزهد" (٩٤٩) والحديث حسنه العلامة الألباني رحمه الله تعالى في صحيح ابن ماجه رقم (٢٣٨).

قال الراغب: (الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا، والعدل والفضل، والشر ضده). نقلا من كتاب "فيض القدير" (٤/ ٣٦٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ**» رواه مسلم رقم (١١٨) وأحمد (٢/ ٣٠٤) واللفظ له.

قال النووي رحمه الله عند هذا الحديث (٢/ ١١٥): (وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب). وقال القرطبي في كتابه "المفهم" (١/ ٣٢٦): (ولا إحالة ولا بعد في حمل هذا الحديث على ظاهره؛ لأن المحن والشدائد إذا توالت على القلوب أفسدتها، بغلبتها عليها، وبما تؤثر فيها من القسوة).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: **خرج علينا رسول الله ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لاَ يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِزَاغَةً إِلاَّ هِيَهْ. وَايْمُ اللهِ! لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»**. رواه ابن ماجه رقم(٥) وهو حديث حسن وقد رواه أحمد(٦/ ٢٤) والبزار رقم(٣٦١١) عن عوف بن مالك ﷺ، وسنده لا بأس به.

وعن عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ، أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح ﷺ إلى البحرين يأتي بجزيتها... فقدم بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة؛ فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ. فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف، فتعرضوا له؛ فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟ فَقَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ! مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ.**

وَلَكِنِّى أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا، كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» رواه البخاري رقم (٣١٥٨)، ومسلم رقم (٢٩٦١).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «**إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي: مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**» رواه البخاري رقم: (١٤٦٥)، ومسلم رقم: (١٠٥٢).

وعن كعب بن عياض ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ**» رواه أحمد (٤/ ١٦٠) والترمذي رقم (٢٣٣٦) وابن حبان رقم (٣٢٢٣) وهو صحيح.

قلت: هذا الحديث يدل على أن أصل الفتن والشرور بين المسلمين: التكالب على المال. اللهم! سلم، سلم!

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ: «**إن هذا الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم**» أخرجه أبو محمد العدل في فوائده والمخلص في الفوائد المنتقاة، كما في السلسلة الصحيحة (١٧٠٣) وصححه مرفوعا وموقوفا.

وعن أبي عامر الألهاني عن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**». **قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ!! قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ، انْتَهَكُوهَا**» رواه ابن ماجه رقم (٤٢٤٥) وقال في الزوائد: (إسناده صحيح، رجاله ثقات).

قلت: هو حديث حسن.

عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِىَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِىَ لِى مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ وَإِنِّى سَأَلْتُ رَبِّى لأُمَّتِى أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ

فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّى إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ وَإِنِّى أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا». رواه مسلم رقم (٢٨٨٩) وأحمد (٥/ ٢٨٤).

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا!**». **فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟! قَالَ «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ. وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ». فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهَنُ؟ قَالَ «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»** رواه أحمد ٥/ ٢٧٨ وأبو داود رقم (٤٢٩٧) واللفظ له، وأبو نعيم (١/ ١٨٢) والطبراني في مسند الشاميين رقم (٦٠٠) وهو حديث حسن.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ، لاَ يَنْزِعُهُ، حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**» رواه أبو داود رقم (٣٤٦٢) واللفظ له، وأحمد (٢/ ٢٨) والطبراني في مسند الشاميين رقم (٢٤١٧) والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٣١٦). قال الألباني في الصحيحة رقم (١١) وهو حديث صحيح بمجموع طرقه.

وصح عَنْ كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لِلإِسْلاَمِ مِنْ مُنْتَهَى؟ قَالَ «**أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ**». وَقَالَ فِى مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ «**نَعَمْ، أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ أَوِ الْعَجَمِ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ**». قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ، كَأَنَّهَا الظُّلَلُ!**». قَالَ: لَا، وَاللهِ! إِنْ شَاءَ اللهُ. قَالَ: «**بَلَى، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ! ثُمَّ تَعُودُونَ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبًّا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**». رواه أحمد(٣/ ٤٧٧) والطيالسي رقم(١٢٩٠) والحميدي رقم(٥٧٤).

وقوله: (أَسَاوِدَ) الحيات السوداء، وقوله: (صُبًّا) أي: كأنهم حيات مصبوبة على الناس

من السماء.

تأمل ما في هذه الأحاديث من بيان أنواع ضعف المؤمنين، وسيأتي الإيضاح لبعضها في المواضع المناسبة.

إخبار النبي ﷺ عن بداية الضعف في المؤمنين

روى البخاري رقم (٢٦٥١) ومسلم رقم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». قَالَ عِمْرَانُ: لاَ أَدْرِي أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**».

وقد تحقق ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث.

قال النووي بعد ذكر هذا الحديث، وما في معناه: (وفي هذه الأحاديث دلائل للنبوة ومعجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ؛ فإن كل الأمور التي أخبر بها وقعت كما أخبر).

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ. وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِى، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ. وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِى مَا يُوعَدُونَ**». أخرجه مسلم رقم:(٢٥٣١).

قال النووي: شارحا قوله: «**وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِى...**»: (معناه من ظهور البدع، والحوادث في الدين، والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك. وهذه كلها من معجزاته ﷺ).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ**». رواه مسلم رقم: (١٨٢٢).

ومرادنا من الاستدلال بهذا الحديث أن بعد ذهاب الخلفاء المذكورين في الحديث يظهر

الضعف في كثير من حكام المسلمين ومحكوميهم.

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يُمِيتُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا؟**». **قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»**. رواه مسلم رقم (٦٤٨).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ سَيَلِي أَمْرَكُمْ مِنْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيُحْدِثُونَ بِدْعَةً، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا**». قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ بِي إِذَا أَدْرَكْتُهُمْ؟ قَالَ: «**لَيْسَ - يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ - طَاعَةٌ لِمَنْ عَصَى الله**». قَالَهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. رواه أحمد (١/ ٣٩٩-٤٠٠) وابن ماجه رقم (٢٨٦٥) والطبراني في الكبير رقم (١٠٣٦١) وهو صالح للتحسين.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لكعب بن عُجْرَةَ ﷺ: «**أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ!**». قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: «**أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي، لاَ يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي. فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلاَ يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي**» رواه أحمد (٣/ ٣٢١) واللفظ له، وعبد الرزاق رقم (٢٠٧١٩) وابن حبان رقم (٤٥١٤) والحاكم (٤/ ٤٢٢) وهو حديث جيد.

وعن عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن، وسلوا الله به؛ فإن من بعدكم قوما يقرؤون القرآن، ويسألون الناس به**» رواه أحمد (٤/ ٤٣٧). وقد جاء من حديث جابر، وهو حديث حسن.

وعن مرداس الأسلمي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ، لاَ يُبَالِيهِمُ اللهُ، بَالَةً**». أخرجه البخاري رقم (٦٤٣٤).

قال الخطابي في قوله: «**لاَ يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً**»: (أي لا يرفع لهم قدرا، ولا يقيم لهم وزنا) "الفتح" (١١/ ٣٠٤).

فهذه الأحاديث اشتملت على بيان بداية تحول المسلمين عن قوة الإيمان على اختلاف مراتبهم من حاكم ومحكوم وعالم ومتعلم، وقد دلت الأدلة على أن هذا التحول يدوم ويستمر، وأيضا يزداد مع الزمان أكثر وأكثر، حتى يكون الغالب على كثير من المسلمين التحول إلى الضعف، كما هو الحاصل في القرون المتأخرة.

تنبيه: هناك فرق بين ما حصل بعد موت الرسول ﷺ في بعض زمن الخلافة الراشدة من الفتن والانحراف، كالردة في خلافة أبي بكر ﷺ وبين التحول المذكور هاهنا. فالذي حصل في خلافة أبي بكر ﷺ أو في خلافة غيره من الخلفاء هو طارئ لم يستمر؛ فقد آل أمر المرتدين في عهد أبي بكر إلى الرجوع إلى الإسلام، وآل أمر مانعي الزكاة وتاركي الصلاة إلى التوبة والرجوع إلى الحق. وأما التحول الذي ذكرنا الأدلة عليه هاهنا فإنه بداية ضعف، يزيد مع الوقت.

كلما بعد المؤمنون عن عصر النبوة زاد ضعفهم:

عن الزبير بن عدي قال: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ نَشْكُو إِلَيْهِ الْحَجَّاجَ، فَقَالَ «**لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ يَوْمٌ أَوْ زَمَانٌ، إِلاَّ الَّذِى بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ**». سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ. رواه البخاري رقم: (٧٠٦٨) وأحمد رقم: (١٣١٧٥).

وقد فسره ابن مسعود بقوله: (لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي قبله، حتى تقوم الساعة. لست أعني رخاء من العيش يصيبه، ولا مالا يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علما من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس؛ فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون!). أخرجه الدارمي في سننه رقم(١٩٤) ويعقوب بن سفيان في "المعرفة" والنسائي(٣/ ٣٩٣) وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" برقم(٢٠٠٩،٢٠٠٨،٢٠٠٧) وابن وضاح رقم (٧٨) و(٢٤٨) والخطيب في "الفقيه والمتفقه" (١/ ٤٥٦) وقد ذكره الحافظ بهذا اللفظ في الفتح (١٣/ ٢٦).

وعند الطبراني عن ابن مسعود ﷺ قال: (أمس خير من اليوم، واليوم خير من غد، وكذلك حتى تقوم الساعة) قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" (١٣/ ٢٧): (وسنده صحيح).

وعلى هذا: فالحديث باق على عمومه، حتى ينزل عيسى بن مريم. والحديث فيه علم من أعلام النبوة، قال ابن بطال في شرحه صحيح البخاري (١٠/ ١٤): (حديث أنس من علامات النبوة؛ لإخبار النبي ﷺ بتغير الزمان وفساد الأحوال، وذلك غيب لا يعلم بالرأي، وإنما يعلم بالوحي).

ولا يدخل في هذا الحديث زمان النبي ﷺ قال الكرماني في "شرح صحيح البخاري" (٩/ الجزء (٢٤/ ١٥٣): (وفي الجملة: معلوم بالضرورة الدينية أن زمان النبي المعصوم غير داخل فيه، ولا مراد فيه، صلوات الله على سيدنا محمد، وعلى سائر النبيين).

أعداء المؤمن الذين جلبوا عليه ضعف إيمانه:

أعداء المؤمنين كثير ومردهم إلى خمسة أقسام، ذكر العلامة ابن القيم في "الفوائد" (ص:١٧٧) أربعة منهم، فقال: (وأفرض الجهاد: جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا. فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد).

وإليك ذكر هؤلاء الأعداء وما يفعلونه بكثير من المسلمين:

العدو الأول: النفس

قال تعالى مخبراً عن امرأة العزيز: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣].

فقوله: ﴿لَأَمَّارَةٌۢ﴾ بتشديد الميم، أي: كثيرة الأوامر لصاحبها بالسوء. ومن أوامرها المهلكة: ما بيَّنه الله في كتابه، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة: ٣٠].

وأخبر الله عن السامري الذي صنع العجل وعبده، فقال:﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ [طه: ٩٦].

فمتى كان المؤمن جاهلا لنـزعات نفسه له إلى الشر، ضعف في مقاومتها، بل يصير منقادا لها، قال إبراهيم القصار:(أضعف الخلق من ضعف عن رد شهوته، وأقوى الخلق من قوي على ردها) "ذم الهوى" لابن الجوزي (٣٠).

وقال أبو علي الدقاق: (من ملك شهوته في حال شبيبته، صيره الله ملكا في حال كهولته، كيوسف عليه السلام: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف: ٩٠] "ذم الهوى" (٣١).

وقال خلف بن الحسن العباداني: سمعت سمنونا يقول: (أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه). "ذم الهوى" (٤٩).

وقال بعضهم: (مخالفتك نفسك الموت الأحمر).

فيا أيها المؤمن، لا خلاص لك حقا من عدوك المذكور إلا بمحاسبة نفسك، قال الله سبحانه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨]، واعلم أنك إذا انتصرت على نفسك، فصبرتها بالحق، انتصرت على بقية الأعداء، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ومتى لم تنتصر عليها فأنت أعجز من أن تنتصر على من هو أشد عداوة لك منها.

واعلم – أيضا – أن الله قد جعل قلبك ضد نفسك، فجعل القلب ملكا والنفس جنديا من جنوده، فإن أقبلت على إصلاح قلبك دام ملكه وسلطانه على الجوارح وعلى النفس، وإن أهملت قلبك سعت نفسك، ومعها بقية الأعداء، إلى الاستيلاء على القلب وعلى جنوده؛

فيصير القلب أسير النفس والهوى والشيطان، عياذا بالله!!

العدو الثاني: الهوى

لقد أعطي العبد عقلا وهوى، وجعل العقل حاكما على الهوى؛ لأن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه. وليس الخطر في هذا الميل، إلا عند مخالفة الشرع والعقل، فإن طغى الهوى على العقل عبد العقل الهوى، واتخذه إلهاً من دون الله، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قال غير واحد من السلف: (ما تحت أديم السماء إله يعبد، أعظم من الهوى) وليس بحديث.

وقال الحسن بن علي المطوعي: (صنم كل إنسان هواه، فإذا كسره بالمخالفة استحق اسم الفتوة) "ذم الهوى" (٢٧).

وقال بشر الحافي: (البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك هواك). "ذم الهوى" (٣١)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال الرسول ﷺ: «**ثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه**».

أخرجه البزار وأبو نعيم في "الحلية" والهروي في "ذم الكلام" وغيرهم. وقد جاء عن أنس وابن عباس وأبي هريرة وابن أبي أوفى وابن عمر رضي الله عنهم. وقد حسنه العلامة الألباني بمجموع طرقه في الصحيحة برقم (١٨٠٢).

وبسبب ما يجلبه الهوى على صاحبه قال الشاعر، كما في "ذم الهوى" (٣٣):

إن الهوان هو الهوى قلب اسمه فإذا هويت فقد لقيت هوانا

وقال ابن الجوزي في "ذم الهوى" (١٦): (واعلم أن الهوى يسري بصاحبه في فنون، ويخرجه من دائرة العقل إلى دائرة الجنون، وقد يكون الهوى في العلم فيخرجه إلى ضد ما يأمر

به العلم، وقد يكون في الزهد فيخرج إلى الرياء).

فمن أراد الجنة فليحارب هواه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠] وقال تعالى:﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[ص: ٢٦]، فإذا كان الأنبياء المعصومون يحذرون من اتباع الهوى، فمن باب أولى أن يكون اتباعهم أعظم ابتلاء به، فهم أحق بالتحذير من اتباعه؛ فلا تأمن على نفسك منه، قال العلامة ابن القيم في "روضة المحبين" (٤٦٧): (الهوى كمين لا يؤمن). فكيف أمنت هواك؟!!

وقد وضع العلماء ضوابط مهمة؛ ليتحقق للمؤمن مخالفة هواه، قال العلامة المعلمي رحمه الله في كتابه "القائد إلى تصحيح العقائد" (ص:٣٤-٣٦) وهو يتكلم عن الأسباب التي يحارب بها الهوى: (يفكر في حاله مع الهوى، افرض أنه بلغك أن رجلاً سب رسول الله ﷺ وآخر سب داود عليه السلام، وثالثاً سب عمر أو عليًّا رضي الله عنهما، ورابعاً سب إمامك، وخامساً سب إماماً آخر، أيكون سخطك عليهم وسعيك في عقوبتهم وتأديبهم أو التنديد بهم موافقاً لما يقتضيه الشرع، فيكون غضبك على الأول والثاني قريباً من السواء وأشد مما بعدهما جدًّا، وغضبك على الثالث دون ذلك وأشد مما بعده، وغضبك على الرابع والخامس قريباً من السواء ودون ما قبلهما بكثير؟ افرض أنك قرأت آية، فلاح لك منها موافقة قول لإمامك، وقرأت أخرى فلاح لك منها مخالفة قول آخر له، أيكون نظرك إليهما سواء، لا تبالي أن يتبين منهما بعد التدبر صحة ما لاح لك أو عدم صحته؟ افرض أنك وقفت على حديثين لا تعرف صحتهما ولا ضعفهما، أحدهما يوافق قولاً لإمامك والآخر يخالفه، أيكون نظرك فيهما سواء، لا تبالي أن يصح سند كل منهما أو يضعف؟ افرض أنك نظرت في مسألة قال إمامك قولاً و خالفه غيره، ألا يكون لك هوى في ترجيح أحد القولين، بل تريد أن تنظر لتعرف

الراجح منها فتبين رجحانه؟ افرض أن رجلا تحبه وآخر تبغضه تنازعا في قضية فاستفتيت فيها ولا تستحضر حكمها و تريد أن تنظر، ألا يكون هواك في موافقة الذي تحبه؟ افرض أنك وعالماً تحبه وآخر تكرهه، أفتى كل منهما في قضية واطلعت على فتوى صاحبيك فرأيتهما صواباً، ثم بلغك أن عالماً آخر اعترض على واحدة من تلك الفتاوى وشدد النكير عليها، أتكون حالك واحدة، سواء كانت هي فتواك أم فتوى صديقك أم فتوى مكروهك؟ افرض أنك تعلم من رجل منكراً، وتعذر نفسك في عدم الإنكار عليه، ثم بلغك أن عالماً أنكر عليه وشدد النكير، أيكون استحسانك لذلك، سواء فيما إذا كان المنكر صديقك أم عدوك، والمنكر عليه صديقك أم عدوك؟ فتش نفسك تجدك مبتلى بمعصية أو نقص في الدين، وتجد من تبغضه مبتلى بمعصية أو نقص آخر ليس في الشرع بأشد مما أنت مبتلى به! فهل تجد استشناعك ما هو عليه مساوياً لاستشناعك ما أنت عليه، وتجد مقتك نفسك مساوياً لمقتك إياه؟ وبالجملة: فمسالك الهوى أكثر من أن تحصى... و لم يكلف العالم بأن لا يكون له هوى؟ فإن هذا خارج عن الوسع، وإنما الواجب على العالم أن يفتش نفسه عن هواها؛ حتى يعرفه ثم يحترز منه، ويمعن النظر في الحق من حيث هو حق، فإن بان له أنه مخالف لهواه، آثر الحق على هواه).

وذكر العلامة ابن القيم في كتابه "روضة المحبين" (٤٧٠) خمسين وجها لمحاربة الهوى وهي في الأهمية بمكان ومنها قوله: (الحادي عشر: أن يسير بقلبه في عواقب الهوى، فيتأمل كم أفاتت معصيته من فضيلة، وكم أوقعت في رذيلة، وكم أكلة منعت أكلات، وكم من لذة فوتت لذات، وكم من شهوة كسرت جاها، ونكست راسا، وقبحت ذكرا، وأورثت ذما، وأعقبت ذلا وألزمت عارا لا يغسله الماء، غير أن عين صاحب الهوى عمياء).

والخلاص من غوائل الهوى يتحقق برد ما يهواه الشخص إلى حاكمين وهما العقل

والشرع، قال العلامة ابن القيم في "روضة المحبين" (٤٦٨): (ولما امتحن المكلف بالهوى من بين سائر البهائم، وكان كل وقت تحدث عليه حوادث، جعل فيه حاكمان: حاكم العقل وحاكم الدين، وأمر أن يرفع حوادث الهوى دائما إلى هذين الحاكمين وأن ينقاد لحكمهما. وينبغي أن يتمرن على دفع الهوى المأمون العواقب؛ ليتمرن بذلك على ترك ما تؤذي عواقبه).

وقال في "مفتاح دار السعادة" (١/ ٣٥٢): (والله سبحانه خلق الملائكة عقولا بلا شهوات، وخلق الحيوانات ذوات شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان مركبا من عقل وشهوة فمن غلب عقله شهوته كان خيرا من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله كان شرا من الحيوانات).

العدو الثالث: شياطين الجن:

اعلم أيها المؤمن أن أكبر أعدائك وأضرهم بك وأخطرهم عليك على الإطلاق: شياطين الجن؛ فقد أخبر تعالى عن ملازمة الشيطان للصراط المستقيم؛ لإفساد أهله، قال تعالى: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[الأعراف: ١٦ – ١٧]، ومعنى أقعد: ألازم البقاء والتواجد.

فإبليس وجنوده بالمرصاد لأهل الحق، فلا تظن أن معركة شياطين الجن الكبرى مع الكفار، لا، بل هي مع أهل الإيمان؛ لأن الكفار قد صاروا جنود شياطين الجن، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[مريم: ٨٣]، أي: تدفعهم وتزعجهم إلى محاربة المؤمنين وإلى العناد والمكابرة، ومن دفعهم إياهم أنهم يُدفعون لقتال المؤمنين، قال تعالى في دفع شياطين الجن لقريش، ومن معها؛ لقتال الرسول ﷺ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾[الأنفال: ٤٨]، ولا تفهم أن معركة

شياطين الجن الكبرى مع الفساق وأهل البدع والضلالات، لا، بل هي مع المتمسكين بمنهاج النبوة؛ لأن الفساق والضلال قد صاروا مستجيبين للشياطين في أمور كثيرة، ولا يزال الشياطين يلقون عليهم ما يبعدهم عن الله وعن دينه، وهم يقبلون منهم ذلك بسهولة، ولكن المعركة التي فيها الصراع والمصاولة والمجاولة، والتي يحتاج إبليس إلى تجنيد جنوده وتجييش جيوشه، هي مع الأنبياء والمتبعين لهم ظاهرا وباطنا.

وحقيقة هذه المعركة تختصر في أمرين:

الأول: الحيلولة بين المؤمنين وبين الإقبال على طاعة الله وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام، بالتثبيط والتخذيل والتزيين للمعصية والخطيئة وغير ذلك، ومن خلال هذه الحيلولة يظفر الشياطين من المؤمنين بترك الطاعة بالكلية، أو في وقت دون وقت، أو لا يأتي بها على وجهها أو يزيد على المشروع، حتى يقع في الابتداع في الدين.

الثاني: دعوة شياطين الجن المؤمنين إلى المعاصي بالتزيين لها والتسويل والتغرير، وغير ذلك.

والقرآن والسنة مليئان بالآيات والأحاديث التي تدل على ما قلنا، وهذا ما أدركه أهل العلم، قال مخلد بن الحسين: (ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين، ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلو فيه، وإما تقصير عنه). "سير أعلام النبلاء" (٩/ ٢٣٦).

وقال العلامة ابن القيم في "إغاثة اللهفان" (١/ ١٦٤) وهو يتكلم عن كيد الشيطان: (ومن كيده العجيب: أنه يشأم النفس حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها قوة الإقدام والشجاعة أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة، فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تثبيطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به وثقله عليه، فهون عليه تركه حتى يتركه جملة أو يقصر فيه ويتهاون به، وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام وعلو الهمة أخذ

يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول ويتجاوز بالثاني).

وعداوة شياطين الجن لعباد الرحمن حاصلة في كل أحوالهم، حتى في حال أداء العبادات، واعتبر بما يفعله الشيطان بالمصلين.

وأيضاً: عداوة شياطين الجن للأنبياء وخلفائهم مستمرة، حتى تخرج روح المؤمن، قال الرسول ﷺ: «...**وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِيَ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ**» رواه أبو داود رقم (١٥٥٢) من حديث أبي اليَسَرِ ﷺ. فإذا كان الشيطان يسعى إلى التخبيط بالأنبياء والمرسلين عند الموت، ولكن الله يحفظهم من كيده ومكره، فلا ينال ذلك منهم، فمن باب أولى أنه يفعل هذا بالمؤمنين عند الموت، بل سيخبط بهم أكثر، ولا ينجو من ذلك إلا من قوي اتصاله بالله في الرخاء.

وعلى كل: البلاء بشياطين الجن عظيم، وتفاصيل ذلك تحتاج إلى مجلدات، وقد أوجزنا كثيرا من ذلك في رسالتنا "إنقاذ المسلمين من وسوسة الجن والشياطين".

ومن دفاع الله عن عباده المؤمنين أن جعل لكل واحد منهم ملكا يذكره بالخير ويدعوه إليه، ويكره إليه الشر، وينفره عنه، فعن عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ**». قَالُوا: وَإِيَّاكَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِيَّايَ، لَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ؛ فَأَسْلَمَ؛ فَلاَ يَأْمُرُنِي إِلاَّ بِخَيْرٍ**» رواه مسلم رقم(٢٨١٤) وأحمد (١/ ٣٨٥) فليكن المؤمن مع داعي الخير.

وأعظم ما ينتصر به أهل الحق على شياطين الجن الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والتضرع بين يديه، والاستعاذة به من الشيطان ومكايده، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى

صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [الناس: ١ - ٦] وأيضاً التدبر للآيات والأحاديث الواردة في ذم الشيطان وذم أعماله، من الأسباب التي ينتصر بها على شياطين الجن.

العدو الرابع: شياطين الإنس من الكفار والمنافقين:

الشيطان: هو كل عاتٍ متمرد، سواء كان من الإنس أو من الجن أو من الحيوانات، كما قال أهل اللغة، وقد جمع الله بين شياطين الجن والإنس في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام:١١٢]، فشياطين الإنس هم المحاربون للحق، المتمردون عليه، المعادون لأنبياء الله ورسله ولأتباعهم.

ولما كان المنافقون والكفار هم أعظم الإنس محاربة للأنبياء والرسل وأتباعهم، حذر الله نبيه من طاعة هذين الصنفين في قليل أو كثير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب: ١]، وقال تعالى مخاطبا الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الجاثية: ١٨ – ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴿٧٥﴾ ﴾[الإسراء: ٧٣ - ٧٥]، بل أمر الله نبيه ﷺ أن يفاصل الكفار مفاصلة كلية، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[الكافرون: ١- ٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[يونس: ٤١]، يونس، وهذه التحذيرات ليست خاصة بالرسول ﷺ، بل هي لكل فرد من أفراد المؤمنين والمؤمنات، وحاجة كل مؤمن ومؤمنة إليها أعظم؛ لأننا لسنا معصومين، فما بال كثير من المؤمنين في معزل عن هذه التحذيرات؟! بل لقد أقبل بعض المسلمين على الكفار إقبال من لا يأبه بالإسلام، ومن ذلك: ذهاب بعض جهلة المسلمين إلى بلاد الكفار للإقامة عندهم، بل والتجنس بجنسياتهم، عياذا بالله! ولو اتقى الله هؤلاء ما سكنوا في بلاد الكفار؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ، فَإِنَّهُ مِثْلُهُ**» رواه أبو داود رقم (٢٧٨٩) وغيره عن سمرة بن جندب، وهو حديث حسن. فحذار حذار! من التشبه بالكفار، ولو في قليل مما هم عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٥٤٨-٥٥٠) وهو يتحدث عن التشبه بالكفار: (المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة... والمشاكلة في الهدي الظاهر توجب أيضا مناسبة وائتلافا، وإن بعد الزمان والمكان، فهذا أيضا أمر محسوس، فمشابهتهم في أعيادهم ولو بالقليل هو سبب لنوع ما من انتساب أخلاقهم، التي هي ملعونة. وما كان مظنة لفساد خفي غير منضبط، علق الحكم به وأدير التحريم عليه، فنقول: مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق

والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات... وأيضاً المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر. وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد، ثم اجتمعا في دار غربة، كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم... وإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم، فكيف بالمشابهة في أمور دينية؟!).

العدو الخامس: الدنيا:

المراد بالدنيا: كل ما ألهى عن الآخرة وبما أن المؤمن جبل على حب الملك والخلود والجاه والمال وحب النساء والأولاد، فلا تزال هذه تغره وتلهيه وتدفعه إلى التنافس في الدنيا والتفاخر بها، كما أخبر الله بهذا في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠]، وقد كان النبي ﷺ يخاف على أمته من أن تفسدها الدنيا.

فعن عقبة بن عامر ﷺ قال: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر، فقال: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**» رواه البخاري رقم (٤٠٤٢) واللفظ له ومسلم (٢٢٩٦).

وعن عمرو بن عوف ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ؟**». قَالُوا: أَجَلْ، يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَالله! مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ**» رواه البخاري رقم (٦٤٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٩٦١).

والتنافس من النفاسة، وهو: عدُّ الشيء نفيسا، أي: ثمينا غاليا يستحق المسابقة إليه والحيازة له والظفر به والانفراد به. وقد بين رسول الله ﷺ ماذا تصنع الدنيا بالمؤمنين المتنافسين فيها، فعن عوف بن مالك ﷺ أنه قال: إن رسول الله ﷺ قام في أصحابه فقال: «**اَلْفَقْرَ تَخَافُونَ – أَوِ: الْعَوَزَ، أَوْ: تُهِمُّكُمُ الدُّنْيَا – فَإِنَّ اللهَ فَاتِحٌ لَكُمْ أَرْضَ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَتُصَبُّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لاَ يُزِيغَكُمْ بَعْدِي إِنْ أَزَاغَكُمْ إِلاَّ هِيَ**» رواه أحمد (٦/ ٢٤).

انظر – أيها القارئ – إلى ما دلت عليه هذه الأدلة من غوائل جسام وبوائق عظام؛ بسبب الإقبال على الدنيا. فمن يأمن على نفسه من بوائق الاغترار بالدنيا والتفاخر بها؟! وأصل افتتان المؤمن بالدنيا هو المال؛ فقد قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ**». رواه الترمذي رقم (٢٣٣٦) وأحمد (٤/ ١٦٠) والحاكم (٤/ ٣١٨) وابن حبان رقم (٣٢٢٣) وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وهو كذلك.

ومعنى الحديث: أن الأمم من قبل أمة الإسلام فتنت بالكفر والشرك والكبر والبطر، أما أمة الإسلام فقد نجت من هذا، ولكن فتنتها الكبرى وبليتها العظمى: بالالتهاء بالمال؛ بحثا عنه وجمعا له، وصرفاً له في غير محله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾[المنافقون: ٩].

والاشتغال بالمال على جهة الالتهاء عن طاعة الله والغفلة عن ذكر الله يجر إلى اكتسابه من غير حله وإلى صرفه في غير محله واستخدامه على وجه مذموم، كالإسراف والتبذير والطغيان والبغي وغير ذلك. ولو سيرت طرفك في المسلمين المفتونين بالمال لهالك ذلك، فتسمع بالتسابق إلى تعاطي السحر والتنجيم؛ من أجل المال، وظهور سب الدين في الصحف والجرائد؛ من أجل المال، والدعوة إلى الديمقراطية والحزبية والتبرج والسفور واختلاط النساء بالرجال، وكل أنواع إفساد المرأة؛ من أجل المال، فكيف لو رأيت اتجاه المسلمين

المنبهرين بدنيا الغرب في اكتساب المال إلى اكتسابه عن طريق استخدام القوانين الرأسمالية، فلقد أثَّرت الرأسمالية على هؤلاء، حتى اعتمدوا البوائق الرأسمالية في اكتساب المال. ألا وإن أعظم بوائق الرأسمالية في اكتساب المال قاعدة "حرية الاقتصاد" وهي قاعدة إلحادية؛ لأنها تخول لأصحابها أن يستبيحوا كل ما حرم الله في اكتساب الأرزاق ومن ذلك الغش والخداع والكذب والتزوير والربا والرشا والدجل والمتاجرة بالأعراض وبالدول والشعوب، وتبرر لهم استخدام البغي والسلب والنهب وفرض الجمارك والضرائب وحق الغرف التجارية، وغير ذلك من طرق سلب الأموال، وتبارك لهم الرأسمالية في استحلال التجارة في الخمور والمخدرات وفتح باب السياحة بعجرها وبجرها من نشر الزنا وشرب الخمور وفتح المراقص والملاهي وغير ذلك، وتهون عليهم قبول المنح والمساعدات من الكفار، بشرط الفساد والإضرار بالمسلمين.

وأدهى وأمر مما سبق: فتح المجال للدول والمنظمات والمؤسسات والجمعيات التنصيرية؛ لتقوم بتنصير المسلمين على أبشع صوره وأوسع طرقه وأخبث وسائله، بمقابل مساعدات مالية تقدمها هذه الجهات إلى حكام المسلمين، والأحزاب العلمانية والأحزاب المبتدعة.

فقبول قاعدة (حرية الاقتصاد) أساس كل شر وفساد، وفيها رفض لأحكام الشريعة الإسلامية.

وعلى كل: سطوة الدنيا على كثير من المسلمين سطوة شديدة جلبت على المسلمين الويلات والنكبات، كما قال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ

فحذار! حذار! من الاغترار بالحياة الدنيا؛ فالله يقول:﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الحديد: ٢٠].

هي الدنيـا تقـول بملء فيهـا حذار حذار من بطشي وفتكي
فـلا يغـرركمُ منـي ابتســام فـقولي مضحك والفعل مبكي

ولله در من قال:

فكم دقت ورقت واسترقت فضول الرزق أعناق الرجال

فخلاصة القول: ما قاله الراجز:

العبـــد حـــر مـا قنـــع والحـــر عبـــد مـا طمـع

والرسول ﷺ يقول: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ!!**» رواه البخاري رقم (٢٨٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والدنيا تزاول بالجوارح، وهذا حال التقي الصالح دون حبها في القلوب التي هي محل عبودية علام الغيوب، فاعرف ما لك وما عليك، واسع في إنقاذ نفسك بين يدي مولاك، والله يتولاك في دنياك وأخراك.

أكبر سبب ضعف المؤمنين: الجهل بما جاء به الرسول ﷺ

الجهل ضارب أطنابه على كثير من المؤمنين، وهو فيهم بحسب قلة إقبالهم على علم الشريعة وكثرته. وآية وجود الجهل في المؤمنين ما جاء عند عبد الرزاق في تفسيره (١/ ١٥١) والطبري (٨/ ٨٩) عن قتادة قال: (اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصي به الله فهو جهالة، عمدا كان أو غير ذلك) وسنده صحيح إلى قتادة.

وأخرج الطبري في تفسيره عن مجاهد قوله: (كل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينـزع عن معصيته). وسنده صحيح.

قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (١/ ٣٢١): (الذنب محفوف بجهلين: جهل بحقيقة الأسباب الصارفة، عنه وجهل بحقيقة المفسدة المترتبة عليه، وكل واحد من

الجهلين تحته جهالات كثيرة؛ فما عصي الله إلا بالجهل، وما أطيع إلا بالعلم).

وقال أيضاً في المصدر المذكور (١/ ٣٨٢-٣٨٣): (أما شجرة الجهل فتثمر كل ثمرة قبيحة من الكفر والفساد والشرك والظلم والبغي والعدوان والجزع والهلع والكنود والعجلة والطيش والحدة والفحش والبذاء والشح والبخل، ولهذا قيل في حد البخل: جهل مقرون بسوء الظن ومن ثمرته الغش للخلق والكبر عليهم والفخر والخيلاء والعجب والرياء والسمعة والنفاق والكذب وإخلاف الوعد، والغلظة على الناس، والانتقام ومقابلة الحسنة بالسيئة والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وترك القبول من الناصحين، وحب غير الله ورجائه، والتوكل عليه، وإيثار رضاه على رضا الله، وتقديم أمره على أمر الله والتهاوت عند حق الله والوثوق بها عند حق نفسه والغضب لها والانتصار لها، فإذا انتهكت حقوق نفسه لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم بأكثر من حقه، وإذا انتهكت محارم الله لم ينبض له عرق؛ غضبا. لله فلا قوة في أمره ولا بصيرة في دينه. ومن ثمرتها الدعوة إلى سبيل الشيطان، وإلى سلوك طريق الغي واتباع الهوى وإيثار الشهوات على الطاعات وقيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال، ووأد البنات وعقوق الأمهات وقطيعة الأرحام، وإساءة الجوار وركوب مراكب الخزي والعار).

فهيا إلى العلم النافع غذاء القلوب ونور العقول ودواء الأرواح وزاد المتقين وبغية الموفقين وسبيل أرباب النزاهة المتعففين، علم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فيا حسرة على المؤمنين، كلما دعوا إلى هذا الأصل الأصيل والركن العظيم تأخروا عن ذلك إلا من وفقه الله.

ضعف المؤمن ناتج عن تمكن الشهوات والشبهات منه

من لم يحرس قلبه ويحافظ عليه تواردت عليه الشبه، حتى تهلكه، قال العلامة ابن القيم في كتابه "مفتاح دار السعادة" (١/ ٣٦٧-٣٦٨): (إن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه،

إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما: مرض الشهوات، ومرض الشبهات. هذان أصل داء الخلق إلا من عافاه الله. وقد ذكر الله تعالى هذين المرضين في كتابه أما مرض الشبهات، وهو أصعبهما وأقتلهما للقلب، ففي قوله في حق المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ [البقرة: ١٠] وقوله: ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [المدثر: ٣١] وقال تعالى: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٣] فهذه ثلاثة مواضع المراد بمرض القلب فيها مرض الجهل والشبهة، وأما مرض الشهوة، ففي قوله: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] أي: لا تلنَّ في الكلام؛ فيطمع الذي في قلبه فجور وزنا) وبعد أن ذكر أمراضا كثيرة كالعجب والرياء والحسد والفخر والخيلاء قال: (وهذه الأمراض كلها متولدة عن الجهل، ودواؤها العلم).

وقال أيضا في "إغاثة اللهفان" (٢/ ٨٨٧-٨٨٨): (ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى والمصيبة الكبرى... وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعهم فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل والهدى بالضلال... وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق فائت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع؛ فهي من عمى في البصيرة وفساد في الإرادة).

وقال ابن بطة في "الإبانة" في كتاب الإيمان (١/ ٣٩٠): (فكرت في السبب الذي أخرج أقواما من السنة والجماعة واضطرهم إلى البدعة والشناعة، وفتح باب البلية على أفئدتهم وحجب نور الحق عن بصيرتهم فوجدت ذلك من وجهين أحدهما: البحث والتنقير وكثرة

السؤال عما لا يغني، ولا يضر العاقل جهله ولا ينفع المؤمن فهمه، والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته وتفسد القلوب صحبته).

وقال أيضاً في المصدر السابق (١/ ٤٤٣): (لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات، مثل السفنجة؛ فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرا للشبهات).

أهل البدع والتحزب أساس ضعف المؤمنين:

لقد أخبر النبي ﷺ بظهور أهل البدع جملة، وأخبر عن بعض الفرق وبدعها التي سيبتدعونها ويفسدون على المؤمنين والمسلمين دينهم. والمشاهد أن كل فرقة ظهرت اقتطعت جزءًا من المؤمنين إلى صفها، مما أدى ذلك إلى تأسيس الضعف المستمر في المؤمنين المستجيبين لأهل البدع، وأهل البدع والتحزب أصناف:

الصنف الأول: الخوارج:

روى البخاري رقم (٤٣٥١) ومسلم رقم (٢٥٠٥) واللفظ له عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ يَا رَسُولَ الله اعْدِلْ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**». فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي فِيهِ؛ أَضْرِبْ عُنُقَهُ!! قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**...» الحديث.

والأحاديث الواردة في ظهور الخوارج كثيرة، بلغت مبلغ التواتر، وفي بعضها عند مسلم وغيره «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**». وفي مسلم أيضا رقم (١٠٦٧) أن

الرسول ﷺ قال في الخوارج: «**شَرُّ الْخَلْقِ والْخَلِيقَةِ**». فإلقاء الخوارج على المسلمين شبهة تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم كاف في إضعاف المؤمن في باب الأخوة في الدين، فلا تبقى الأخوة الإيمانية، ولا تؤدى حقوق المؤمن، فلا ينصر بل يخذل، ولا يعان بل يهان، ولا يدافع عنه بل يسلَّم، ولا يرحم بل يظلم.

بل إن الخوارج تسببوا في إضعاف المؤمنين أيضا من جهة قتالهم المؤمنين وترك قتالهم الكفار، فبهذه البوائق أطمعوا الكفار في المؤمنين.

الصنف الثاني: السبئية:

والسبئية هي طائفة المؤسس لها عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي أظهر الإسلام، وأبطن يهوديته. ولقد ملئت كتب التواريخ بذكر أحداث عبد الله بن سبأ اليهودي، وقد كانت شؤما على أمة الإسلام، وأولها الخروج على الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ، ثم قتله، وآخرها القول: إن عليا ﷺ هو الله، وأنه لم يمت وإنما غاب عنهم، وقوله برجعة الرسول ﷺ ورجعة علي ﷺ، وعلى ذلك بنت الشيعة قولها برجعة أئمتها.

وفي خضم هذا الضلال والزندقة من ابن سبأ؛ تجرأ على الطعن في كثير من الصحابة، رضوان الله عليهم، وأعظم من هذا قوله بنقصان القرآن. وقد تلقت الشيعة عن عبد الله بن سبأ هذه الضلالات، وأقامت تشيعها عليها وتفرقت الشيعة إلى فرق كثيرة وأشهر فرقها ثلاث: الباطنية، الإسماعيلية، القرمطية. وفرق الباطنية ليست من أمة محمد ﷺ بإجماع العلماء، والرافضة الإمامية الإثنا عشرية والرافضة الزيدية. وقد فعلت الشيعة بأمة الإسلام ما لم يفعله بها اليهود ولا النصارى، بل إنها تآمرت مع المجوس والتتر والنصارى واليهود على المسلمين، وهذه المؤامرة من الرافضة والشيعة جرت على مر التاريخ قديما وحديثا؛ فكانت شر فرقة على الإسلام وأهله.

الصنف الثالث: القدرية:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ**» رواه أحمد (٢/ ٩٠) وأبو داود رقم(٤٦١٣) وقد وردت أحاديث في أن الفرقة القدرية مجوس هذه الأمة، وهي بمجموعها صالحة للاحتجاج. ومن كلام أهل العلم في هذه الفرقة ما قاله الإمام ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (٤٩٣-٤٩٤): (والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس من حيث إن المجوس أثبتوا خالقَين، وهم أثبتوا خالِقين). قلت: بكسر القاف لأن القدرية يقولون: إن العبد يخلق أفعاله، فعلى هذا فسيكون الخالقون مع الله كثيرين، لا يحصيهم إلا الله؛ فكانوا بقولهم هذا أوسع ضلالا من المجوس.

وإضعاف هذه الفرقة للمؤمنين يلخصه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله، كما في "مجموع الفتاوى" (٨/ ٢٢٨): (فبقي الناس يخوضون في القدر بالحجاز والشام والعراق، وأكثره كان بالشام والعراق والبصرة...).

فهذا الخوض سبَّب قبول القول بالقدر، حتى من قبل بعض العلماء، وسبَّب تشكك بعض المسلمين في إثبات القدر، الذي أثبته القرآن والسنة وصار عليه السلف.

الصنف الرابع: الطائفة القرآنية الضالة

عن المقدام بن معديكرب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَلاَ إِنِّى أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ. أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**» رواه أحمد (٤/ ١٣١) وأبو داود في السنن (٤٦٠٤) واللفظ له وابن زنجويه في "الأموال" (٦٢٠) والطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٦٨) وغيرهم، **وهو صحيح**.

وعن أبي رافع ﷺ مرفوعا: «**لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لاَ نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِى كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ**» رواه أحمد (٦/ ١٠) وأبو

داود (٤٦٠٥) والحميدي (٥٥١) وغيرهم، وهو صحيح.

وقد ذكر غير واحد ممن ألفوا في علامات النبوة ومعجزات الرسول ﷺ هذا الحديث ضمن أحاديث النبوة، وهكذا شراح الحديث المذكور عدوه من جملة دلائل النبوة.

ولتعرُّف ما أفسدته هذه الفرقة أنقل للقارئ ما قاله العظيم أبادي في "عون المعبود" (١٢/ ٢٣٣) قال: (ولقد ظهرت معجزة النبي ﷺ ووقع بما أخبر به، فإن رجلا خرج من الفنجاب من إقليم الهند وانتسب نفسه بأهل القرآن، وشتان بينه وبين أهل القرآن، بل هو من أهل الإلحاد والمرتدين، وكان قبل ذلك من الصالحين، فأضله الشيطان وأغواه، وأبعده عن الصراط المستقيم فتفوَّه بما لا يتكلم به أهل الإسلام، فأطال لسانه في إهانة النبي ﷺ، ورد الأحاديث الصحيحة بأسرها، وقال: هذه كلها مكذوبة، ومفتريات على الله تعالى، وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط، دون أحاديث النبي ﷺ، وإن كانت صحيحة متواترة، ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]. وغير ذلك من أقواله الكفرية، وتبعه على ذلك كثير من الجهال وجعله إماما، وقد أفتى علماء العصر بكفره وإلحاده وخروجه عن دائرة الإسلام، والأمر كما قالوا، والله أعلم).

قلت: ولا تزال هذه الطائفة والفرقة تكثر وتكثر، حتى صارت فرقة كبيرة، لها دعاتها وكتبها. ومن أراد الاطلاع على هذه الفرقة وأحوالها، فليرجع إلى كتاب "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة"؛ فإنه مهم.

الصنف الخامس: المرجئة:

والمرجئة على قسمين: قسم يقول: إن الإيمان هو تصديق القلب فقط، وإن لم يتكلم بالإيمان ولم يعمل به. وهذه الفرقة معروفة بغلاة المرجئة، وهم الجهمية. وقد كفرها كثير من

علماء الأمة. والقسم الثاني مرجئة تقول: إن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان فقط، ولا تسلم بأن الأعمال الصالحة داخلة في مسمى الإيمان. وعند إطلاق المرجئة فالمراد به هذه الفرقة. وكلامنا هنا عليها. وهذه الفرقة جلبت على المسلمين؛ بشبهها فسادا كبيرا؛ لأنها فتحت المجال للتلاعب بالإسلام، بترك واجباته وارتكاب محرماته، ولهذا كثر تحذير السلف منها وبدَّعوها وضللوها، قال إبراهيم النخعي عن المرجئة، كما في "الإبانة" (٢/ ٨٨٥) برقم (١٢٢١) والسنة (١/ ٣١٣) برقم (٦٢٠): (لفتنتهم عندي أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة).

وقال الزهري كما في "الإبانة" (٢/ ٨٨٥) برقم: (١٢٢٢): (ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من هذه. يعني: الإرجاء).

وقال الأوزاعي، كما في "الإبانة" أيضا (٢/ ٨٨٥) برقم (١٢٢٣) والسنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (١/ ٣١٨) برقم (٦٤١): (كان يحيى وقتادة يقولان: ليس من الأهواء شيء أخوف عندهم على الأمة من الإرجاء).

وقال سفيان الثوري، كما في "مجموع الفتاوى" (٧/ ٣٩٥): (تركت المرجئة الإسلام أرق من ثوب سامري). فهذه الفرقة جلبت الضعف في المؤمنين بسبب التأثر بشبهها.

الصنف السادس: الجهمية والمعتزلة

لقد تمكن علم الكلام والفلسفة الوثنية من الجهمية والمعتزلة، فأفسد عليهما أمر العقيدة التي سار عليها الأنبياء والرسل والسلف الصالح، فهاتان الفرقتان تتفقان في التعطيل، فالجهمية تنفي أسماء الله وصفاته، والمعتزلة تنفي صفات الله، وهما متفقتان على القول بخلق القرآن الكريم، ومتفقتان على تقديم العقل على الشرع المطهر، وبسبب هذا التقديم؛ تشعب ضلال هاتين الفرقتين في المسلمين، فالجهمية قدرية جبرية على طريقة المشركين الذين أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]

والمعتزلة قدرية مجوسية، والجهمية مرجئة غلاة، كما تقدم، والمعتزلة تكفيرية وعيدية؛ لأنها تقول: إن المؤمن العاصي في الدنيا بين منزلة الكفر والإسلام، وفي الآخرة يخلد في جهنم أبد الآبدين.

وقد نفق ضلال هاتين الفرقتين على كثير من الفرق، من رافضة إمامية ورافضة زيدية وصوفية وخوارج وأشعرية وماتريدية وغيرها، ولا يزال التجهم والاعتزال ينتشر إلى ساعتنا هذه.

الصنف السابع: الصوفية:

لا يخفى على المسلم المتسلح بالمعرفة الثاقبة للإسلام أن البدع عند الصوفية كثيرة، وأنها أوسع الفرق ضلالا وشركا، وقد جعلت المسلمين المستجيبين لها يحصرون أفعال الخير والمنافسة فيه والإقبال عليه، في بناء القباب والمشاهد على الضرائح، وفي بناء المساجد على القبور، وفي الذبح للأموات والنذر لهم والعبادة لهم بالطواف على ضرائحهم والاستغاثة بهم والاحتفال بموالدهم، حتى جعلوا أرباب الضرائح في مقام ربوبية الله؛ حيث يعتقدون فيهم أنهم يدفعون الضر، ويجلبون النفع، ويدبرون شئون العباد؛ فصار المسلمون المفتونون بترهات الصوفية وشطحاتها من أحمق المسلمين وأسخفهم وأجهلهم بدين الله وبمكايد أعدائهم. ولقد كانت الصوفية بوابة للأعداء الغزاة على المسلمين، فكانت إذا سمعت بزحف جيوش العدو من يهود ونصارى وغيرهم على المسلمين، دعت المسلمين إلى الإقبال على الموالد المبتدعة والضرائح الشركية، فتشغل المسلمين بهذا، حتى يداهمهم العدو، ويبسط نفوذه على البلاد وأهلها، وبعد هذا تتصالح الصوفية مع العدو الغازي المستعبد للمسلمين؛ لتبقى مواصلة في بدعها وشركياتها.

الصنف الثامن: الأشعرية والماتريدية:

الأشعرية والماتريدية إحدى الفرق الكلامية، وهي في باب أسماء الله وصفاته والنبوات والإيمان تنزع تارة إلى بعض ما عند الجهمية، وتارة إلى بعض ما عند المعتزلة. وأما في ألوهية الله وعبوديته من صلاة وصيام وحج وعمرة وغير ذلك، وفي باب الأخلاق والمعاملات فتنزع إلى الصوفية. ومؤخرا اتجه كثير من علماء الأشعرية والماتريدية إلى التصوف المحض. وقد انتشر مؤخراً ضلال هذه الفرقة، حتى صار كثير من المسلمين في باب العقيدة أشاعرة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!!

الصنف التاسع: الأحزاب المبتدعة:

كحزب الإخوان المسلمين وحزب التحرير وحزب محمد سرور. وهذه الأحزاب وأمثالها قبلت التحزيب الديمقراطي، وهو تحزب يحول أصحابه إلى أن يكونوا كالشرطي مع الغرب الكافر، ولهذا تقوم أمريكا ومن معها بمد الأحزاب الديمقراطية حسيا ومعنويا. فماذا تنتظر ممن هذا حاله من الأحزاب؟!

والأحزاب المذكورة تسعى جاهدة إلى تحزيب أكبر عدد من المسلمين على مختلف أحوالهم الدينية، من صوفي وتكفيري ورافضي وسني وغيرهم. وأما الأحزاب الإلحادية، من شيوعية وعلمانية، فهي أدهى وأمر! نعم، قد أخزاها الله وباءت بالبوار، ولكن لا تزال تفسد مرضى القلوب وعشاق الملك والجاه. فالأحزاب المبتدعة تتغذى في سياستها المنحرفة ما بين الحين والآخر عن طريق الأحزاب المذكورة، وهذه الأحزاب، من إخوانية وغيرها، تستخدم الإسلام في مصالحها أكثر مما تخدمه، وتدعو إلى حزبيتها أكثر مما تدعو إليه، وتنادي بتحكيمه وهي تحتكم إلى الديمقراطية أكثر من احتكامها إليه؛ فإلى الله المشتكى!!!

وأما محاربة هذه الأحزاب لدعوة أهل السنة ففي مقدمة أعمالها.

فالمسلم الذي حرم من التمسك بمنهاج النبوة يبتلى بهذه الفرق والأحزاب غالبا، ومن

ابتلي بها صار ضحية انحرافاتها ومخالفاتها. وعلى ما سبق ذكره تعلم أنه: لا أضر على المسلمين من المسلمين الذين يجعلون الإسلام دعاية لهم إلى بدعهم وتحزبهم!

كثرة تفريق أهل البدع والتحزب للمؤمنين مما زاد في ضعفهم

يبدأ المبتدع بتكوين فرقة، ثم لا يزال يقتطع من يقتطع من المؤمنين إلى حزبه حتى تكبر فرقته، ويعظم حزبه، ويستشري شره ويكثر فساده، ثم بعد ذلك تتمزق الفرقة إلى فرق والحزب إلى أحزاب، حتى تصير الفرقة فرقا والحزب أحزابا، وهذا السعي المشئوم قد أخبر به النبي ﷺ، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع؛ فماذا تعهد إلينا؟! فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشيًّا؛ فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة!**» أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٣-٤٤) وأحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧) واللفظ له.

قال الحافظ أبو نعيم: (هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين) نقلا من "جامع العلوم والحكم" (٢/ ١٠٩).

وقال ابن كثير: (لا أعلم له علة).

وقال شيخ الإسلام الأنصاري: (هو أجود حديث في أهل الشام وأحسنه). نقلا من "الإلمام بدراسة الأحاديث التي عليها مدار الإسلام" (ص:٣٨٩).

قلت: هذا الحديث حديث عظيم القدر وهو من دلائل نبوة الرسول ﷺ قال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" (٢/ ١٢٠): (هذا إخبار منه ﷺ بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه، وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات، وهذا

موافق لما روي عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي: من كان على ما هو عليه وأصحابه، وكذلك في هذا الحديث أمر عند الافتراق والاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والسنة هي: الطريقة المسلوكة، فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال، وهذه هي السنة الكاملة).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِى عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**». رواه أحمد ٢/ ٣٣٢ وأبو داود (٤٥٩٦) واللفظ له، والترمذي (٢٦٤٠). وهو حديث حسن.

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: إن رسول الله قام فينا خطيبا فقال: «**أَلاَ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِى النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِى الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**». رواه أبو داود رقم (٤٥٩٧) واللفظ له، وأحمد (٤/ ١٠٢) والحاكم (١/ ١٢٨) والدارمي (٢/ ٢٤١). وهو حديث حسن أيضا.

فهذا التفريق الذي أخبر به النبي ﷺ قد وقع وتحقق بعد عصر السلف بوقت غير طويل، ويدل على ذلك ما ألفه العلماء في هذا التفرق والاختلاف، فقد ذكر أبو الحسن الأشعري وهو من أصحاب القرن الرابع ما يزيد على سبعين فرقة. ولا يزال التفرق والاختلاف يكثر على مر العصور، ففي عصرنا بلغت الأحزاب السياسية التي تريد الملك في اليمن ما يربو على خمسة وأربعين حزبا، كل حزب يختلف مع الأحزاب الأخرى، فكيف بغيرها من الدول العربية والإسلامية؟!

فانظر إلى ما صنع دعاة البدع والتحزب بالمؤمنين حال غفلة المؤمنين عن شر أهل البدع والتحزب، فهذا التفريق هو الإثخان في المؤمنين بالضعف، وهذا الاختلاف والتفرق أدى إلى إضعاف شوكة المؤمنين حاكمهم ومحكومهم أمام الأعداء، وتلاحقت عليهم مصائب تسلط

الأعداء عليهم ناهيك عن قتال المؤمنين بعضهم؛ بسبب هذه الفرق والأحزاب لأنها تهيج من معها، على المسلمين الذين ليسوا معها، بل بعضهن تكفر المسلمين والمؤمنين وتستحل دماءهم وأموالهم كالرافضة والخوارج ومن شاركهم في ذلك. فهل من عافية لمن اختطفته الفرق المنحرفة والأحزاب المضلة؟

كلام أهل العلم على الضعف الذي لحق بالمؤمنين بسبب أهل البدع والتحزب والضلالات

لم يتضرر المسلمون تاريخيا بضرر أعظم من تضررهم بأهل البدع والضلالات والأحزاب. وعموم المسلمين يدركون حصول ذلك التضرر من بعض الفرق كالرافضة، وبعضهم لا يدرك هذا التضرر، كالذين لا يدركون ضرر الصوفية، مع أنه أوسع من ضرر الرافضة، وضرر الرافضة أشد. ويكفي في إثبات ما لحق بالمسلمين من قبل أهل البدع أن أنقل شيئا من كلام أهل العلم يدل على ذلك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في "مجموع الفتاوى" (١٣/ ١٧٨-١٧٩): (فلما ظهر النفاق والبدع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة، وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة. وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق، وكان أهل الشام بأسوإ حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة إلى أن تولى نور الدين الشهيد، وقام بما قام به من أمر الإسلام وإظهاره والجهاد لأعدائه، ثم استنجد به ملوك مصر بنو عبيد على النصارى فأنجدهم وجرت فصول كثيرة إلى أن أخذت مصر من بني عبيد، أخذها صلاح الدين يوسف بن سادي وخطب بها لبني العباس، فمن حينئذ ظهر الإسلام بمصر بعد أن مكثت بأيدي المنافقين المرتدين عن دين الإسلام مائة سنة، فكان الإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سببا لخير الدنيا والآخرة، وبالعكس البدع والإلحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر

الدنيا والآخرة، فلما ظهر في الشام ومصر والجزيرة الإلحاد والبدع، سلط عليهم الكفار ولما أقاموا ما أقاموه من الإسلام وقهر الملحدين والمبتدعين، نصرهم الله على الكفار).

وقال أيضا، كما في المصدر نفسه (٢٢/ ٢٥٤): (وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتر عليها كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها، حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة، حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره، حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا، وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا. وكل هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه، وكل هؤلاء المتعصبين بالباطل، المتبعين الظن وما تهوى الأنفس، المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله مستحقون للذم والعقاب، وهذا باب واسع لا تحتمل هذه الفتيا لبسطه).

وقال العلامة ابن القيم في "إعلام الموقعين" (١/ ٦٨-٦٩): (الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم، حيث استعمل أهله قياساتهم الفاسدة وآراءهم الباطلة وشبههم الداحضة في رد النصوص الصحيحة الصريحة، فردوا لأجلها ألفاظ النصوص التي وجدوا السبيل إلى تكذيب رواتها وتخطئتهم ومعاني النصوص التي لم يجدوا إلى رد ألفاظها سبيلا فقابلوا النوع الأول بالتكذيب والنوع الثاني بالتحريف والتأويل، فأنكروا لذلك رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وأنكروا كلامه وتكليمه لعباده، وأنكروا مباينته للعالم، واستواءه على عرشه وعلوه على المخلوقات وعموم قدرته على كل شيء، بل أخرجوا أفعال عباده من الملائكة والأنبياء والجن والإنس عن تعلق قدرته ومشيئته وتكوينه لها، ونفوا لأجلها حقائق ما أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وحرفوا لأجلها

النصوص عن مواضعها وأخرجوها عن معانيها وحقائقها بالرأي المجرد الذي حقيقته أنه ذبالة الأذهان ونخالة الأفكار وعفارة الآراء ووساوس الصدور؛ فملئوا به الأوراق سوادا والقلوب شكوكا والعالم فسادا وكل من له مُسْكَةٌ من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد، فلا إله إلا الله! كم نفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى، وأُحيي بها من ضلالة، وكم هدم بها من معقل الإيمان، وعمر بها من دين الشيطان!!).

وقال أيضا في المصدر السابق (١/ ١٣٦-١٣٧): (فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، وهو: الخوض، أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب، وهو: الاستمتاع بالخلاق. فالأول: البدع والثاني: اتباع الهوى وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كذبت الرسل وعصي الرب ودخلت النار وحلت العقوبات فالأول من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات، ولهذا كان السلف يقولون احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى فتنه هواه، وصاحب دنيا أعجبته دنياه. وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق، ويعملون بخلافه وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم).

ولا ننسى ما لحق بالمسلمين؛ بسبب جور ملوكهم وإقبالهم على الدنيا، وتهالكهم عليها، **قال القرطبي** في "المفهم" (٧/ ٢١٨): (وحاصل هذا: أنه إذا كان من المسلمين ذلك تفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو؛ فقويت شوكة العدو واستولى، كما شاهدناه في أزماننا هذه في المشرق والمغرب، وذلك أنه لما اختلف ملوك الشرق وتجادلوا استولوا كافر الترك على جميع عراق العجم، ولما اختلف ملوك المغرب وتجادلوا استولت

الإفرنج على جميع بلاد الأندلس والجزر القريبة منها، وهاهم قد طمعوا في جميع بلاد الإسلام، فنسأل الله أن يتدارك المسلمين بالعفو والنصر واللطف).

ولا ننسى ما يحدث من شر عظيم بسبب أهل الفسوق والفجور، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ١٤٣)**: (ومن تدبر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وقع بين أمراء الأمة وعلمائها، ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن هذا أصلها يدخل في ذلك أسباب الضلال والغي التي هي الأهواء الدينية والشهوانية وهي البدع في الدين والفجور في الدنيا؛ وذلك أن أسباب الضلال والغي البدع في الدين والفجور في الدنيا وهي مشتركة تعم بني آدم؛ لما فيهم من الظلم والجهل، فبذنب بعض الناس يظلم نفسه وغيره كالزنا بلواط وغيره أو شرب خمر أو ظلم في المال بخيانة أو سرقة أو غصب أو نحو ذلك).

استمرارية ضعف المؤمنين بسبب إصرار أهل البدع والتحزب قديما وحديثا على بقاء بدعهم

مهما رأى أصحاب البدع والتحزب من ضعف المؤمنين وتسلط الأعداء عليهم، فلا يرحمونهم ولا يحرصون على رجوعهم ورجوع من معهم إلى التمسك بالإسلام، بل يصرون أشد الإصرار على بقائهم ومن معهم من المسلمين على حالة الضعف والانهزام. وهذا مصداق قول الرسول ﷺ في أول فرقة ظهرت في ساحة المسلمين، ألا وهم الخوارج عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَلاَقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ فِيهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**». رواه مسلم برقم (١٠٦٧).

وهكذا أهل البدع والتحزب، يصرون على بقائهم وبقاء من تأثر بهم من المؤمنين، على ما هم عليه من مخالفات الله لشرع الله، ولو بلغت إلى الشرك والخرافة والقتل والقتال بين

المؤمنين. واعتبر بالفرق والأحزاب التي ظهرت من عصر السلف كالخوارج والمعتزلة والجهمية والمرجئة والرافضة وبعد ذلك الصوفية والأشعرية، فلا تزال هذه الفرق إلى الآن. فمن أين ستأتي عافية للمؤمنين الذين صاروا مع هذه الفرق إن بقوا معها، بل الفرق والأحزاب ترى أن من رجع إلى منهاج النبوة كالمرتد، وبعضها تحكم عليه بالكفر والزندقة، عياذا بالله!!

واعتبر أيضا بالأحزاب التي ظهرت في عصرنا، فما جاء من يوم إلا وهي إلى الأسوإ، وإلى الإقبال على ما يريده الأعداء. وبسبب سعيها في تحزيب المسلمين أصبح المسلمون الذين كانوا غير رافضة وغير صوفية، متحزبين، إلا من اعتصم بالله وبما جاء به رسوله ﷺ، فبالتحزب الديمقراطي ازداد المسلمون ضعفا إلى ضعفهم، وتمزيقا إلى تمزيقهم، والتحزب العصري توقع أن يأخذ له دهرا في تمكنه من المسلمين إلى جانب الضعف السابق فيهم من قرون بعيدة ويزداد.

وخلاصة القول: إن بقاء ضعف المؤمنين بسبب أهل البدع والتحزب حاصل لا ينكره إلا جاهل أو مكابر ومعاند، وأنه يزيد ما بين الحين والآخر، وقد تضعف بعض الفرق والأحزاب ويقوى غيرها من الفرق والأحزاب، وأيضا لم يحصل على مر التاريخ أن ترك أهل البدع بدعهم وأهل التحزب تحزبهم، وإنما يحصل أن أفرادا من الصنفين المذكورين يرجعون إلى منهاج النبوة، ويتركون ما خالف الحق.

استمرارية ضعف المؤمنين المتبعين لأهل البدع والأحزاب حتى يهلك الله الملل كلها

قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[التوبة: ٣٣]، قال ابن عطية في تفسيره (١٣/ ٤٧٢): (إن هذا الخبر يظهر

للوجود عند نزول عيسى بن مريم عليهما السلام؛ فإنه لا يبقى في وقته دين إلا الإسلام. وهذا قول الطبري والثعلبي ورأى قوم: أن الإظهار هو الإعلاء، وإن بقي من الدين الآخر أجزاء).

ومما أخبر به النبي ﷺ أن ملل أهل الضلال تنتهي عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام. روى أحمد (٢/ ٤٠٦) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ: أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ. وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ رَجُلاً مَرْبُوعاً إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطِرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا، إِلاَّ الإِسْلاَمَ...**». وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الدجال وفيه: «**وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً فَلاَ يُعْبَدُ إِلاَّ اللهُ**» أخرجه ابن ماجه رقم (٤٠٧٧).

فإهلاك الملل كلها، سواء كانت يهودية أو نصرانية أو غير ذلك متضمن لإهلاك ما عليه أهل البدع؛ لأنهم تلقوا ما ابتدعوه، وما بسببه تحزبوا من ملل الكفار من فلاسفة ووثنيين وغيرهم، فلا تبقى إلا شريعة الإسلام، ولا يحكم إلا بها. والحاكم بها نبي الله عيسى عليه السلام، وخليفة الله المهدي ومن معهم من عباد الله المؤمنين. فيا لها من حياة ما أسعدها! ويا لها من عبادة ما ألذها! ويا لها من أخوة على الإيمان والإحسان ما أجملها!

ازدياد ضعف المؤمنين في عصرنا

سبق أن ذكرنا أن ضعف المؤمن يشتد ويزيد على مر العصور وفي بعض العصور يظهر الضعف جليًّا أكثر وأكثر. ومما ظهر من الضعف جلياً في عصرنا ما يأتي:

١- تعلم أولاد المسلمين في مدارس ومعاهد وجامعات الكفار من يهود ونصارى، وسواء كانت هذه المدارس في بلاد المسلمين أو في بلاد الكفار؛ فهذا التعليم قصم ظهور

المسلمين المتعلمين على يد هؤلاء الكفرة؛ لأن كثيرا من المتعلمين على أيدي الكفار يصيرون ممسوخين عن الإسلام، دعاة إلى نشر الفساد، بل يصير بعضهم أشد كفرا بالإسلام من أعداء الإسلام.

٢- تمكين حكام المسلمين اليهود والنصارى من شئون المسلمين في مجالات شتى من أمور سياسية واقتصادية وعلمية ودعوية وأخلاقية وغير ذلك. ولا تسأل بعد هذا التمكين عن حال المسلمين؛ فالواقع يبكيك، والمسموع يؤذيك؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣- توجه عدد كبير من المسلمين إلى الإقامة بأسرهم في بلاد الكفر الغربية والشرقية. وغالب هؤلاء المسلمين غير مرخص لهم شرعا بالذهاب إلى بلاد الغرب، وغالبهم جهال بالإسلام وجهال بجاهلية الكفار، بل يرونها حضارة، فكيف والذهاب لغرض الإقامة هناك؟! وأدهى من هذا أن بعض المسلمين يأخذون جنسيات الدول الكافرة، فيصيرون كالقطعة منهم. فالهجرة إلى بلاد الكفار أدت إلى خسائر كبيرة بحيث يصدق على كثير ممن هاجر إلى بلادهم قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١].

٤- تقليد المسلمين الكفار، فكثير من المسلمين في عصرنا اتجهوا إلى تقليد أعداء الإسلام تقليدا لم يسبق له نظير من جهة شموله؛ فقد قلدوهم في كل شيء. ومن جهة ضرره، فمهما كان ما عند الكفار مضرا، فهو مقبول عند المقلدة من المسلمين، مع تفاوت في قبوله، حتى إن بعض أبناء المسلمين قلدوهم في أشنع الكفر وأفظع الإلحاد، كقبول الشيوعية الإشتراكية القائمة على "لا إله، والحياة مادة" والقائمة على أن الدين أفيون الشعوب، ومنهم من قلدهم في قبول العلمانية التي تعني: لا دينية، وأن الدين أسوأ خدعة، وقد قامت في بلاد المسلمين أحزاب شيوعية وعلمانية، وفسحت المجال للإلحاد، كسب الله ودينه ورسوله

والقرآن، وجعلوا الإسلام تخلفا ورجعية، وقبل المقلدون دعوة المساواة التي ملئت بالكفريات، كجعل القرآن مثل التوراة والإنجيل المحرفتين المنسوختين، وجعل المساجد مثل الكنائس، وجعل المسلم والكافر سواء، مع العلم أن الكفار في حقيقة الأمر يفضلون أنفسهم على المسلمين، وقبلوا منهم مساواة المرأة بالرجل، وفي مساواة المرأة بالرجل من الكفر والإلحاد والفساد ما يقلب دين المسلمين رأسا على عقب، فيصدق قول النبي في المسلمين المقلدين للكفار: «**حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ، تَبِعْتُمُوهُمْ**» رواه البخاري رقم (٧٣٢٠) ومسلم رقم (٢٦٦٩).

فهذه أبرز ازدياد ضعف المؤمنين في عصرنا، فالله أسأل أن يصلح أحوال المسلمين.

اشتداد ضعف المؤمنين قرب خروج الدجال

كلما بعد المسلمون عن عصر النبوة كثر الضعف فيهم، إلا من رحمه الله وتكثر الفتن فيزداد الضعف قرب خروج الدجال، حتى إن الفتن من كثرتها وأضرارها تقذف بكثير من ضعفاء الإيمان إلى النفاق والزندقة، عياذا بالله!!

روى أبو داود رقم (٤٢٤٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا قُعُودًا عِنْدَ رَسُولِ اللهﷺ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِى ذِكْرِهَا، حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلاَسِ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلاَسِ؟ قَالَ: «**هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِى يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِىَ الْمُتَّقُونَ ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لاَ تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ لَطَمَتْهُ لَطْمَةً فَإِذَا قِيلَ انْقَضَتْ تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لاَ نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لاَ إِيمَانَ فِيهِ. فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ مِنْ غَدِهِ**».

وأيضا كثرة الفتن تفقد الناس الرشد وتلقي بهم في المتاهات والفوضى، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ،**

وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ؟!».

قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ: «**الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**». رواه أحمد (٣/ ٢٢٠) والبزار، كما في "كشف الأستار" (٤/ ١٣٢).

قلت: ما أظهر هذه المذكورات في حديث أنس في عصرنا!! فقد صار كثير من الكتَّاب في الصحف والمجلات وكثير من المذيعين، أبواقا لأعداء الإسلام، يتكلمون في قضايا الأمة التي لا يصلح أن يتكلم فيها إلا أولو الألباب والعرفان، ويحللون أمور الأمة بتحليلات غريبة مريبة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!!

أنواع أمراض قلب المؤمن الضعيف بداية ونهاية

تختلف أمراض قلوب ضعفاء الإيمان وتتنوع؛ لأن المعصية الواحدة تتنوع حسب شهوات المقبلين عليها قال بعض العارفين: (السماع – الغناء – يورث النفاق في قوم، والعناد في قوم، والتكذيب في قوم والفجور في قوم والرعونة في قوم) "إغاثة اللهفان" (١/ ٤٤٧).

وسنذكر ما تيسر من هذه الأمراض؛ نظرا إلى حاجة المؤمن إلى معرفتها واجتنابها، وهي ما يأتي:

من أمراض قلوب المؤمنين:

١- **إصغاء القلب إلى ما تميل إليه النفس**: قال الله مخاطبا بعض نساء النبي: ﴿**إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ**﴾ [التحريم: ٤].

قال السعدي في تفسير قوله ﴿صَغَتۡ﴾ أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن من الأدب والورع مع رسول الله.

٢- **زيغ القلب**: قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ**﴾ [آل عمران: ٧]. وعن أبي الدرداء ﷺ قال: خرج علينا

رسول الله ﷺ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه، فقال: «**آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟! وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ! لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لاَ يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِزَاغَةً إِلاَّ هِيَهْ. وَايْمُ الله! لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**». رواه ابن ماجه رقم: (٥).

٣- **غل القلب**: وهو الحسد والحقد والضغن والعداوة قال الله واصفا أهل الجنة: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال تعالى مخبرا عن المؤمنين: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر: ١٠].

٤- **الغيظ**: وقد فسر أنه أشد الغضب. ومتى كان الغيظ ضد الكفار والمنافقين، فهو مأذون به، ومتى كان ضد أهل الاتباع فهو مذموم، وهو من أمراض القلوب، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[التوبة: ١٤-١٥] وقال تعالى في المؤمنين الكرام: ﴿**وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ** ۗ ﴾[آل عمران: ١٣٤] وقد يشتد الغيظ في قلوب أصحابه، حتى يبلغ بهم إلى النفاق، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾** ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٥- **غلظة القلب**: قال تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال بعض المفسرين: الفظ: سيئ الخلق في الأمور الظاهرة من الأقوال والأفعال. وغلظة القلب: إساءة الخلق في الأمور الباطنة.

٦- **الكبر**: عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «**إِنَّ اللهَّ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ. الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**». رواه مسلم رقم (٩١) وأبو داود رقم (٤٠٩١)

والترمذي رقم (١٩٩٩).

٧- **مرض القلب بالفجور**: قال الله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[الأحزاب: ٣٢].

٨- **مرض القلب بالنفاق**: وهو من أعم الأمراض القلبية وأعظمها فسادا، وقد وصف به المنافقون تارة، وغيرهم تارة، قال تعالى واصفا المنافقين: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾[البقرة: ١٠] وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾[الأنفال: ٤٩] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾[الأحزاب: ١٢] وقال سبحانه: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾[الأحزاب: ٦٠].

فهذه الأمراض وأمثالها تتخلل القلب شيئا فشيئا وصاحبها في غفلة عن حراسة قلبه والمحافظة عليه، ومثل من ترك حراسة قلبه كمثل رجل غرس غرسا وسقاه بالماء فنبتت بجانب الغرس أشجار أخرى، فأهمل صاحب الغرس إزالتها فترعرعت، حتى صارت مانعة للغرس من سرعة نموه وقوته، وكلما قويت الأشجار ضعف الغرس. وهكذا قلب المؤمن: إذا أهمل من الحراسة والتصفية والتنقية له مما يعلق به من شوائب هوى النفس، اعتل أكثر وقوي فساده وعوقب بالران عليه، الذي بيَّنه رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا، حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ**: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[المطففين: ١٤]» رواه أحمد (٢/ ٢٩٧) والترمذي رقم (٣٣٣٤) واللفظ له، وابن ماجه رقم (٤٢٤٤)

وبيَّنه أيضا عليه الصلاة والسلام بقوله: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا**

عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وأيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا، كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ». رواه مسلم عن حذيفة رقم: (٣٨٦). أفاد هذا الحديث أن نهاية حال قلب المؤمن الضعيف هي الموت؛ بدليل قوله: «**لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**». وهذا هو الحاصل في عصرنا في من قبلوا منكرات الديمقراطية، ومنها: قبول قانون يعرف بقانون الشرف بين الأحزاب، ومضمونه: أن الأحزاب لا تتكلم في بعضها بعضا، وهذه الأحزاب منها إلحادية ومنها أحزاب مبتدعة ضالة، وقد صارت الأحزاب الضالة تلتقي مع الأحزاب الإلحادية ويبرمون الوثائق والمعاهدات والاتفاقيات بينهم ويحصل المدح من بعضهم لبعض، وتبادل اختيار المرشحين وغير ذلك.

التلازم بين ضعف قلب المؤمن وضعف جوارحه

تقدم أن ضعف المؤمن على قسمين: ظاهر وباطن، وهنا نوضح التلازم بين الضعفين. فالضعف الظاهر دليل على ضعف الباطن، والضعف في الباطن يستلزم ويوجب ضعف الظاهر؛ لأن ضعف الباطن أصل الضعف الظاهر، قال الرسول ﷺ: «**أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ. أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**» رواه البخاري رقم (٥٢) ومسلم رقم (١٥٩٩) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الأصفهانية" (١٨١) وهو يتحدث عن الإيمان القلبي: (لما كان إيمان القلب له موجبات في الظاهر كان الظاهر دليلا على إيمان القلب ثبوتا وانتفاء، كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا

ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[المائدة: ٨١].

وقال العلامة الشاطبي في "الموافقات" (١/ ٢٣٣): (جعلت الأعمال الظاهرة في الشرع دليلا على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منخرما حكم على الباطن بذلك، أو مستقيما، حكم على الباطن بذلك أيضاً. وهو أصل عام في الفقه وسائر الأحكام العاديات والتجريبيات، بل الالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جدا).

وقال العلامة ابن رجب في "فتح الباري" (١/ ٢٢٩): (ذكر النبي ﷺ كلمة جامعة لصلاح حركات ابن آدم وفسادها، وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده، فإذا صلح القلب صلحت إرادته وصلحت جميع الجوارح، فلم تنبعث إلا إلى طاعة الله واجتناب سخطه، فقنعت بالحلال عن الحرام. وإذا فسد القلب فسدت إرادته؛ ففسدت الجوارح كلها، وانبعثت في معاصي الله عز وجل، وما فيه سخطه، ولم تقنع بالحلال).

وقال ابن الملقن في كتابه"المعين على تفهم الأربعين"ص(١٢٦-١٢٧): (إن صلاح الجسد (وهو: البدن) تابع لصلاح القلب، وفساده تابع لفساده؛ لأنه مبدأ الحركات البدنية والإرادات النفسانية. فإن صدرت عنه إرادة صالحة تحرك الجسد حركة صالحة، وكذا الفاسدة وبالجملة: فالقلب كالملك والجسد وأعضاؤه كالرعية، ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك، وتفسد بفساده).

قلت: والجوارح تؤثر على القلب حال غفلته أو ضعفه أو مرضه أو استئساره من قبل النفس والشيطان، قال صاحب كتاب "الفتوحات الوهبيه بشرح الأربعين النوويه" (ص:٢٦١): (فهذا يدل على أن الجارحة تفسد القلب... أن الجوارح، وإن كانت تابعة للقلب فقد يتأثر القلب بأعمالها؛ للارتباط الذي بين الظاهر والباطن، فهو وإن كان صغير الجرم كبير القدر، ولذا سمي الأعظم؛ لكونه عظيم القدر). ويدل على أن القلب المعتل يتأثر

بما تلقيه عليه الجوارح قول الرسول ﷺ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا، عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ**» رواه مسلم رقم(١٤٤) عن حذيفة رضي الله عنه.

وقال الشاعر:

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وعلى هذا فما يدندن به بعض الزائغين من قولهم: (الإيمان في القلب) حينما ينصحون بإصلاح ظاهرهم، فقول مغالطة وتمرد؛ حتى لا يقبلوا الحق، ونخشى أن تكون قلوبهم منكرة وهم مستكبرون. فليتق الله المسلم، ويصدق مع الله، ويتب إليه!!

الحجب العشرة التي تحجب قلب المؤمن الضعيف عن الله

ما من عبد رد شيئا من الحق إلا كان ذلك بسبب الحجاب الذي على قلبه، وهذه الحجب متفاوتة، وقد سردها العلامة ابن القيم في كتابه "مدارج السالكين" (٣/ ١٧٦-١٧٧) فقال: (الحجب التي تحجب القلب عن الرب عشرة:

الأول: حجاب التعطيل ونفي حقائق الأسماء والصفات: وهو أغلظها؛ فلا يتهيأ لصاحب هذا الحجاب أن يعرف الله، ولا يصل إليه البتة، إلا كما يتهيأ للحجر أن يصعد إلى فوق.

الثاني: حجاب الشرك: وهو: أن يتعبد قلبه لغير الله.

الثالث:حجاب البدعة القولية: كحجاب أهل الأهواء والمقالات الفاسدة على اختلافها.

الرابع: حجاب البدعة العملية: كحجاب أهل السلوك المبتدعين في طريقهم وسلوكهم.

الخامس: حجاب أهل الكبائر الباطنة: كحجاب أهل الكبر والعجب والرياء والحسد

والفخر والخيلاء ونحوها.

السادس: حجاب أهل الكبائر الظاهرة وحجابهم أرق من حجاب إخوانهم من أهل الكبائر الباطنة مع كثرة عباداتهم وزهاداتهم واجتهاداتهم. فكبائر هؤلاء أقرب إلى التوبة من كبائر أولئك؛ فإنها قد صارت مقامات لهم، لا يتحاشون من إظهارها، وإخراجها في قوالب عبادة ومعرفة، فأهل الكبائر الظاهرة أدنى إلى السلامة منهم، وقلوبهم خير من قلوبهم.

السابع: حجاب أهل الصغائر.

الثامن: حجاب أهل الفضلات والتوسع في المباحات.

التاسع: حجاب أهل الغفلة عن استحضار ما خلقوا له وأريد منهم وما لله عليهم من دوام ذكره وشكره وعبوديته.

العاشر: حجاب المجتهدين السالكين المشمرين في السير عن المقصود). اهـ.

فإياك إياك! أخي المسلم أن تترك شيئا من هذه الحجب على قلبك فما بلغت إلى هذا العدد، وما تمكنت هذا التمكن، إلا بسبب إهمال المؤمن قلبه، فلا تتوانَ في إصلاح قلبك.

ضعف المسلمين المختلطين بالكافرين:

إن من الأمراض الفتاكة بالمسلمين: اختلاطهم بالكافرين، بغير تمسك بالأحكام الشرعية.

واختلاط المسلمين بالكافرين على قسمين:

القسم الأول: اختلاط بسبب الإقامة والسكنى في بلاد الكفار:

وهذا الاختلاط قد حذر منه النبي ﷺ غاية التحذير، روى أبو داود رقم (٢٦٤٥) و الترمذي رقم (١٦٠٤) عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ. لاَ تَرَاءَى نَارَاهُمَا!**». صححه غير واحد.

وعن سمرة بن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ، فَإِنَّهُ مِثْلُهُ**». أخرجه أبو داود رقم (٢٧٨٧) وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٢٣٣٠).

وعن معاوية بن حيدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلاً، حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ**». رواه أحمد (٥/ ٤) والنسائي رقم (٢٥٦٨) واللفظ له، وابن ماجه رقم (٢٦٣٣) وهو حديث حسن.

خلاصة كلام أهل العلم: أن من أسلم من الكفار عليه أن يهاجر إلى بلاد المسلمين فرضاً، إلا أن يكون قادرًا على إظهار دينه بين أظهر الكفار، وإن كان عاجزاً لا يقدر على الهجرة، فقد عذره الله حتى يجد القدرة.

القسم الثاني: اختلاط أعمال وظيفية أو دراسية أو غير ذلك.

وهذا الاختلاط متى كان خالياً من الأحكام الشرعية المتعلقة بمخالطة الكفار فهو من أسباب طاعة المسلم الكافر وموالاته ونصرته وهذا مما يخدش الركن العظيم الولاء لله ولرسوله ولدينه وأوليائه والبراءة من الكفار.

وكلا القسمين يؤديان إلى ذوبان المسلم بين الكفار، حتى يصير دين المسلم رقيقا جدًّا، حتى لا تكاد تميز بين المسلم والكافر، لا في المظهر ولا في المخبر. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٥٤٨): (وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام).

واختلاط المسلمين بالكافرين قد صار في عصرنا تحققه، ما لم يكن متحققا في عصر مضى. ولذلك أسباب كثيرة، لا يتسع المقام لشرحها وإحصائها، ومن ذلك: أن ضعفاء المسلمين ينظرون إلى الكفار من يهود ونصارى وغيرهم أنهم أصحاب تقدم وحضارة؛ فيرون

اللحاق بهم قدر ما أمكن.

ومنها: جهل هؤلاء المسلمين بمكر أعدائهم بهم وكيدهم لهم، ومؤامرتهم عليهم، فاجتمع على المسلمين اغترارهم بعدوهم وجهلهم بما يحدق بهم من قبل عدوهم، فصاروا ذائبين في زَخَمَةِ هذا الافتتان؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!!

ضعف المؤمنين حاكمهم ومحكومهم أدى إلى تسليط أعداء الإسلام عليهم وجعل بأسهم بينهم شديداً

لقد نبأنا رسول الله ﷺ بنبإٍ عظيم، ألا وهو: تسلط أعداء المسلمين على المسلمين وأعظم منه جعل المسلمين بأسهم بينهم شديداً، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**». رواه ابن ماجه رقم (٤١٥٥) واللفظ له، والبزار، كما في "كشف الأستار" (٢/ ٢٦٨). وما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث فقد تحقق وقوعه، كما أخبر ﷺ؛ فهو من علامات نبوته. ومما تحقق على مرأى ومسمع العالم كله مسلمهم وكافرهم وجنيهم وإنسيهم تسلط أعداء الإسلام على المسلمين، عسكريا واقتصاديا وسياسيا، وأبيدت خضراء المسلمين من قبل هؤلاء الأعداء، واستعبدوا المسلمين حتى صار حال المسلمين أنكد الأحوال!! ومما زاد الطين بلة - كما يقال -: قبول كثير من حكام المسلمين إنشاء الأحزاب السياسية والدينية؛ فقبولها ضربة على الحكام والشعوب المسلمة وقيامها أضر على المسلمين - حاكمهم ومحكومهم - من تسلط الأعداء عليهم؛ لأن المسلمين

يقدرون على إخراج العدو من بلادهم متى كانوا مجتمعين، أما متى كانوا متفرقين فهذا أبعد أن يتفقوا على ذلك، بل هذه الأحزاب إلى نصرة العدو أسرع منها، وأقرب إليه من نصرة الإسلام وأهله، بل إن أمريكا – دمرها الله – تستخدم هذه الأحزاب لتنفذ جرائمها في بلاد المسلمين عن طريق هذه الأحزاب، بل هذه الأحزاب صارت وكرا للدسائس ضد المسلمين من قبل أي عدو من أعداء الإسلام، وأي متربص بالمسلمين؛ فصارت هذه الأحزاب أساس كل شر في الوقت الحالي.

ولن يصلح حال المسلمين – حاكمهم ومحكومهم – إلا إذا حكموا شرع الله، وحاربوا الابتداع والتحزب رضا بالأخوة الإسلامية والوحدة الدينية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ضعف حكام المسلمين وانحرافهم

ضعف حكام المسلمين مما بليت به أمة الإسلام، فصار بعضهم يقربون الأشرار، حتى الكفار من يهود ونصارى وغيرهم، بل ويولونهم أمور المسلمين، فيا ويلهم! من جبار السماوات والأرض؛ لأن الله يقول: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا** ﴾ [آل عمران: ١١٨] واليهود والنصارى والمجوس وأمثالهم هم من دون المسلمين قطعا.

وعن كعب بن عجرة ﷺ قال: خرج إلينا رسول الله فقال: «**اسْمَعُوا: هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ؟! فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ**...» رواه الترمذي رقم (٢٢٥٩) وهذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ لأن ما فيه قد تحقق.

وضعف الحكام من جنس ضعف أهل البدع والأحزاب، ولقد سبق أن ذكرنا أن ضعف أهل البدع والأحزاب هو أساس ضعف المؤمنين حاكمهم ومحكومهم، ومرادنا هنا أن نبين أن ضعف حكام المسلمين هو من جنس ضعف أهل البدع، وهو تابع لأسباب ضعف

أهل البدع. فالحكام المنحرفون واقعون في اتباع الشهوات، وهذا أصل ضعفهم، وواقعون في اتباع الأهواء والشبهات وفي اتباع المتشابه، والأخذ من أعداء الإسلام، والتوسع في دعوى الرخص، وهم واقعون في التقليد للمتعسفين في الملك والرياسة وغير ذلك، وهذه كلها أساسها الجهل. وكوننا جعلنا ضعف الحكام من جنس ضعف أهل الضلال ولم نجعله أعظم أو مساويا له فللأمور الآتية:

١- علماء أهل البدع والأحزاب منهم من يحرص أشد الحرص على إلقاء شبههم على الملوك والرؤساء؛ ليكونوا معهم، ودعاة لما يريدون، وناشرين لما يحبون، ومدافعين عما هم عليه سائرون، فمتى استجاب لهم الحكام سيروهم كيفما أرادوا. واعتبر بتسيير علماء الرفض للدولة الرافضية الصفوية ومن بعدها (إيران)، وتسيير علماء الصوفية للدولة العثمانية ومن بعدها من الدول!! فهذا الصنف من العلماء يفسد دين الحكام ودين المسلمين، وصنف آخر من علماء البدع والتحزب همه أن ينال المال والجاه فهو يقترب من الحكام لينال عطاءهم، وهو تارة يفتيهم بالباطل، وتارة يسكت عما هم عليه من الظلم والبغي، وتارة يخالفهم في أمور لا تثيرهم عليه. فما فسد هؤلاء الحكام إلا بحال هؤلاء المتشبهين بالعلماء.

٢- فساد الحكام كثيرا ما يكون في أمور الدنيا، من أخذ المال من غير حلّه وصرفه في غير محله، بخلاف فساد أهل البدع والضلال؛ فإنه يكون باسم الإسلام، ويكون في العقيدة والعبادة وغيرها. فيكون ضرر أهل البدع والتحزب على المسلمين أعظم وأوسع وأعم من فساد الحكام من جهة الدين، وفساد الحكام أعظم وأعم من جهة الدنيا. فضعف أهل البدع في الإيمان أساس للفتن الدينية، وضعف الحكام في الإيمان أساس للفتن الدنيوية.

٣- أهل البدع والتحزب إما أن يخرجوا على الحاكم المسلم، وإما أن يدعوه إلى الخروج على من خالفهم من فرق وأحزاب وأهل سنة، وإما أن يسكتوا عنه فيفعل ما يضر بالعباد

والبلاد. فأما الخروج على الحاكم المسلم ففيه إفساد الدين والدنيا، وأما خروج الحاكم استجابة لهم ففيه أيضا إفساد الدين والدنيا، وأما السكوت فهو مشاركة لهم فيما يحصل منهم من إفساد الدين والدنيا.

فمن خلال هذا الإيضاح يظهر جليا للقارئ أن فساد دعاة الباطل أضر بالمسلمين من فساد الحكام، وهذا متى كان الحكام ليسوا قابلين ما عليه أهل البدع والأحزاب، أما إذا كانوا قابلين ذلك، كحكام الرافضة والصوفية وغيرهم، فهم سينفذون الضلال حسب سياستهم، ويستعينون بدعاة الضلال وبكل من يصغي إليهم، ويسخرون المال والجاه؛ لنشر الباطل على تفاوت في هؤلاء الحكام الذين تربوا على أيدي أهل البدع والضلال.

وقد قال غير واحد من العلماء: (حسنات السلطان كبيرة، وسيئاته كبيرة)؛ لأن الناس على دين ملوكهم ورؤسائهم، فإذا عمل ولي الأمر سيئة ظاهرة تبعه خلق كثير، بخلاف غيره، فلا تؤثر سيئته في الناس كتأثير سيئات الملوك والرؤساء. فالحذر! الحذر! من التهوين من منكرات الحكام.

الحكام الضعفاء يقيمون الحدود على الضعفاء، ولا يقيمونها على الأقوياء

من علامات ضعف إيمان الحاكم أن يقيم الحدود على الضعفاء المغلوبين المقهورين ولا يقيمها على ذوي الجاه والمال واليسار والحمية الجاهلية والعصبية الحزبية. وهاك الدليل على الضعف المذكور: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله فخطب، فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ الله. لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**». أخرجه البخاري رقم (٦٧٨٨) واللفظ له، ومسلم رقم (١٦٨٨).

قال النووي في شرحه لهذا الحديث (١١/ ١٥٥): (وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد، بعد بلوغه إلى الإمام؛ لهذه الأحاديث، وعلى أنه يحرم التشفيع فيه، فأما قبل بلوغه إلى

الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء، إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شر وأذى للناس، فإن كان لم يشفع فيه، وأما المعاصي التي لا حد فيها وواجبها التعزير فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها، سواء بلغت الإمام أم لا؛ لأنها أهون). اهـ.

وقال القرطبي في "المفهم" (٥/ ٧٩) عند قوله: «**إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ**»: (تهديد ووعيد شديد على ترك القيام بالحدود، وعلى ترك التسوية فيما بين الدنيء والشريف والقوي والضعيف، ولا خلاف في وجوب ذلك). اهـ.

وقال الحافظ في الفتح (١٢/ ١١٧): (وفيه ترك المحاباة في إقامة الحد على من وجب عليه، ولو كان ولدا أو قريبا أو كبير القدر، والتشديد في ذلك والإنكار على من رخص فيه أو تعرض للشفاعة في من وجب عليه).

وقد وصل الحال بكثير من حكام عصرنا إلى أن صاروا ديمقراطيين، لا يقيمون الحدود أصلا؛ لأنها عند بعضهم وحشية، وعند بعضهم تخالف القوانين الديمقراطية. وبسبب ترك إقامة الحدود الشرعية فلت زمام الحزم وضاع الأمان والاستقرار، وعم الفساد وتنمر المفسدون في الأرض على كل فضيلة، وحاربوا كل مصلحة نافعة، فيا ويل جبار الأرض من جبار السماء!!!

كثير من حكام المسلمين من صناعة أعداء الدين

من جملة الخطط التي وضعها اليهود الصهاينة في بروتوكولاتهم: خطة إعداد قادة المسلمين على أيديهم؛ ففي البروتوكول العاشر (ص:١٣٨): (وبذلك صار في الإمكان قيام عصر جمهوري، وعندئذ وضعنا في مكان الملك ضحكة في شخص رئيس يشبهه، قد اخترناه من الدهماء بين مخلوقاتنا وعبيدنا، وهكذا ثبتنا اللغم الذي وضعناه تحت الأميين، أو بالأحرى تحت الشعوب الأممية... ولكي نصل إلى هذه النتائج سندير انتخاب مثل هؤلاء

الرؤساء، ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة أو صفقة أخرى سرية مريبة. إن رئيسا من هذا النوع سيكون منفذا وافيا لأغراضنا؛ لأنه سيخشى التشهير، وسيبقى خاضعا لسلطان الخوف الذي يمتلك دائما الرجل الذي وصل إلى السلطة).

وفي (ص:١٣٩) من البروتوكولات: (هذه السلطة سنعطيها الرئيس المسئول، الذي سيكون ألعوبة خالصة في أيدينا... ولكننا سنعطيه وسيلة الدفاع، وهي حقه في أن يستأنف القرارات محتكما إلى الشعب الذي هو فوق ممثلي الأمة، أي: أن يتوجه الرئيس إلى الناس الذين هم عبيدنا العميان، وهم أغلبية الدهماء).

وفي البروتوكول التاسع (ص:١٣٣):(إن لنا يدا في حق الحكم وحق الانتخاب وسياسة الصحافة، وتعزيز حرية الأفراد).

وقد توصل هؤلاء الأعداء ومن معهم من النصارى إلى إعداد كثير من رؤساء المسلمين وزعمائهم وقادتهم على أيديهم، وهذا الإعداد صار سهلا على أعدائنا؛ وذلك بسبب دفع كثير من ملوك وزعماء وقادة المسلمين أبناءهم إلى التعليم على أيدي الكفار من اليهود والنصارى والمستشرقين، ولم يقتصر هذا التعليم المشئوم على بلاد المسلمين، بل صار تعليمهم لهم في بلاد الكفار هو الأساس، وبقاء هؤلاء الأبناء في بلاد الكفار يتعلمون، يحقق للكفار الفرصة الكاملة؛ لغرس ما يريدون في هؤلاء الأبناء، وأيضا يتعلم هؤلاء الأبناء ما يتعلمون على أيدي الكفار وينفذونه في بلاد الكفار بالأقوال والأفعال، ومن أهم ما يعلمونهم إياه: التخلي عن الإسلام، وأنه تخلف ورجعية وعصور ظلامية، وأنه يجب أن ينبذ، كما نبذت الكنائس في بلاد الشرق والغرب، ويعلمونهم كيف يحاربونه حينما يكونون زعماء وقادة لشعوبهم الإسلامية، فيرجع أبناء الرؤساء ليعملوا ضد الإسلام، كما عُلِّمُوْا وربوا واعتقدوا، ويظلون منتظرين إلى وصولهم إلى زعامة المسلمين؛ ليفوا للغرب الكافر بما وعدوهم به من فصلهم الإسلام عن

الحكم المعروف بفصل الإسلام عن السياسة، ومحاربتهم لكل من ينافح عن الإسلام ويدافع عن الحق.

قال أبو الحسن الندوي في كتابه "الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية" (ص:١٨٢): (إن القادة وولاة الحكم في البلاد المسلمة كلهم إنتاج نظام التعليم الغربي ووليد حضارته، أما الذين لم يتح لهم أن يتثـقفوا في بلد أوربي وينشئوا في بيئته، فإنهم تعلموا في مراكز هذا التعليم في بلادهم، وتثقفوا بها تحت إشراف ممثليه الكبار ورقابتهم. إن بعضهم تخرجوا في الكليات الحربية، التي يُعْنَى فيها بالتعليم والتربية الغربية عناية فائقة، وذلك هو السر في أن العالم الإسلامي اليوم يتأرجح بين عقليتين وفلسفتين ووجهتين مختلفتين تتصارعان دائما). اهـ.

وقال الميداني في هؤلاء المصنوعين في كتابه "غزو في الصميم" (ص:٧٠): (إن هؤلاء الذين يصنعهم أعداء الإسلام كما يريدون، إذا تولوا الأمور في أوطانهم وشعوبهم فإنهم ينطقون باسم أوطانهم لا باسم الغزاة، ويتكلمون بألسنة أقوامهم لا بألسنة الغزاة، وينتسبون إلى الأسر والقبائل التي تعيش في هذه الأوطان، ويطلق عليهم بحسب أعراف الانتماءات: (مسلمون)، مع أن الإسلام لا يقبل الانتماء النسبي إلى الإسلام إلا في حدود الطفولة غير المسْئولة. إن الإسلام لا يقبل إلا الانتماء الإرادي المعلن فرديا، والذي لم ينتقض بما يدل على رفض هذا الانتماء، أو عدم صحته، أو بالردة عنه من أقوال أو أعمال، ولكن هؤلاء يعملون في أوطانهم وشعوبهم أكثر مما يعمل الغزاة، لو كانوا مستعمرين استعمارا مباشرا !! إن هؤلاء يدمرون ما يدمرون في أوطانهم؛ بدعاوى الإصلاح وخير هذه الأوطان، وينفذون مخططات أعداء الإسلام فيها بمكر وخبث وتدرج أو بعنف وقسوة وثورية، وتسير في ركائبهم جماهير كثيرة؛ عن جهل أو غباء أو تعصب أعمى، أو تأثر بمنافع ومصالح دنيوية، أو رغبة في

التحلل من ضوابط القيم الدينية والأخلاقية، وتؤازر هؤلاء – سرا وعلانية – قوى عالمية كبرى من القوى المعادية للإسلام والمسلمين، ومعها كل من يسير في دوائرها الاجتماعية وأفلاكها السياسية).اهـ.

ولنضرب مثالا واحدا بمصطفى كمال أتاتورك، الذي صار قدوة لكثير من زعماء المسلمين، لما يقوم به هؤلاء المجندون لتنفيذ ما يريده أعداء الإسلام.

مصطفى أتاتورك تعلم على أيدي اليهود في مدارسهم وترعرع بين أحضانهم، فاستمر يهود (الدونما) ومن معهم في إعداد هذا الرجل وتهيئته للقيام بما يريدون، وقد توصلوا عن طريقه وعلى يديه إلى القضاء على الخلافة العثمانية عام (١٩٢٤م)، وقام مصطفى أتاتورك بعد ذلك بالجرائم المتلاحقة قال صاحب كتاب "التطرف العلماني في مواجهة الحجاب" (ص:٢٠-٢١) وهو يذكر جرائم أتاتورك: (كانت أولى خطواته على طريق العمالة والخيانة: إعلان إلغاء الخلافة الإسلامية في الثالث من مارس (١٩٢٤م)، وفي نفس العام ألغى وزارة الأوقاف وعهد بشئونها إلى وزارة المعارف، ثم أصدر دستورا جديدا للدولة، وألغى منه النص الخاص بأن تركيا دولة إسلامية، وألغى عطلة يوم الجمعة، واعتمد يومي السبت والأحد إجازة بديلة لها، كما منع الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى، ومنع السفر لأداء فريضة الحج، وجعل الأذان باللغة التركية، وألغى الحروف العربية، وأمر بكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية؛ ليفصل الأجيال الحديثة عن تراثها الإسلامي فصلا كاملا!! واتخذ التقويم الغربي تقويما رسميا للدولة، وألغى لبس الطربوش وأجبر المسلمين على ارتداء القبعات؛ تشبها بالأوربيين، وعطل عمل المشيخة الإسلامية التي كانت تقوم على تطوير العلوم الإسلامية ورقيها، وألغى المحاكم الشرعية، وعطل العمل بالقوانين الإسلامية واستبدل بها القوانين الأوربية، وأغلق المدارس القرآنية والزوايا، واعتبرها مراكز للتخلف

والتآمر الرجعي، وحول المسجدين العظيمين – أيا صوفيا ومسجد الفاتح – إلى متحفين، وعملت حكومته على الاهتمام بكل ما هو غربي، فشجعت الفنون واهتمت بالنحت والرقص والموسيقى، وأقامت التماثيل الضخمة لأتاتورك في ميادين المدن الكبرى، ورفع راية القومية التركية وأعاد عقائد الترك الوثنية القديمة... وعمل على تغيير المناهج الدراسية، وأعاد كتابة التاريخ؛ ليمحو ماضي تركيا الإسلامي، ويمجد ماضي تركيا القومي، واستخدم أسلوب التصفية الجسدية ضد معارضيه، ونكل بالمسلمين تنكيلا وحشيا، وعلق المئات من العلماء والدعاة على أعواد المشانق).

فمصطفى أتاتورك فعل بالمسلمين ما لم يفعله بهم أعداؤهم على مر التاريخ، وفعل بهم ما لا يقدر أن يفعله بهم أعداؤهم لو تمكنوا منهم، وزعماء المسلمين المتعلمنون صائرون على محاربة الإسلام من جنس محاربة مصطفى كمال، ولكنهم يختلفون ما بين مظهر ومخفي ومكثر ومقل فهذه حقيقة ما توصل إليها أعداؤنا عن طريق أبناء جلدتنا، فلا دين يبقى على أيديهم ولا دنيا، بل يذهب الدين فتذهب الدنيا بذهابه، فصارت بلاد المسلمين منكوبة؛ بسبب حكام المسلمين؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!!!

والحكم على هؤلاء الحكام مسألة دينية مردها إلى أهل العلم؛ فكتابتنا هذه ليست لغرض الحكم عليهم، ولكنها لبيان أمور حاصلة متحققة فيهم؛ لعلهم يحذرون، وإلى الله يتوبون، وإلى التمسك بدينه يعودون.

وقد وضحت مسألة متى يكفر الحاكم بغير ما أنزل الله، ومتى لا يكفر، في كتابي "الكشف المبين عن أصناف المبدلين".

ضعف العرب وضرره على المسلمين:

قبل أن ندخل في إيضاح الضعف المذكور أذكر تعريف العربي، وبعض الضوابط: **قال**

شيخ الإسلام ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٤٥٤): (واسم العرب في الأصل كان اسما لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف: أحدها: أن لسانهم كان اللغة العربية. الثاني: أنهم كانوا من أولاد العرب. الثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب، وهي: جزيرة العرب، التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم ولا تدخل فيها الشام، وفي هذه الأرض كانت العرب حين المبعث وقبله، فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار، سكنوا سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية، وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر وغيرهم).

وقال في المصدر نفسه (١/ ٤١٩-٤٢٠): (فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم عبرانيهم وسريانيهم وورومهم وفرسهم وغيرهم، وأن قريشًا أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله ﷺ أفضل بني هاشم؛ فهو أفضل الخلق نفسا وأفضلهم نسبا وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم؛ لمجرد كون النبي ﷺ منهم، وإن كان هذا من الفضل، بل هم في أنفسهم أفضل وبذلك ثبت لرسول الله ﷺ أنه أفضل نفسا ونسبا، وإلا لزم الدور).

وقال ابن عاشور في "مقاصد الشريعة الإسلامية" (ص:٩٣): (فالعرب هم حملة شريعة الإسلام إلى سائر المخاطبين بها وهم من جملتهم، واختارهم الله لهذه الأمانة؛ لأنهم يومئذ قد امتازوا من بين سائر الأمم باجتماع صفات أربع لم تجتمع في التاريخ لأمة من الأمم، وتلك هي جودة الأذهان وقوة الحوافظ وبساطة الحضارة والتشريع والبعد عن الاختلاط ببقية أمم العالم). نقلا من كتاب "خصائص جزيرة العرب" (ص:٦١).

وقد طرأ على العرب الضعف في التمسك بالإسلام إلا من رحم الله، وقد اشتد ضعفهم في القرن الرابع عشر حتى انطبق عليهم ما أخبر به الرسول عن هذا الضعف؛ فقد روى

الإمام البخاري رقم (٧٠٥٩) ومسلم رقم (٢٨٨٠) عن زينب بنت جَحْشٍ رضي الله عنها، أنها قالت: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ: «**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ! وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ! فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**». قِيلَ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**».

وجاء عند أبي داود والبيهقي في الكبرى والطبراني في الكبير ومسند الشاميين وأحمد وأبي يعلى وغيرهم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ، حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**». وقد جود إسناد الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في "مجموع الفتاوى" (٢٩/ ٣٠) وصححه العلامة الألباني بمجموع طرقه، في الصحيحة رقم (١١).

والذي ضيع العرب في عصرنا هو جهلهم بالإسلام، الذي هو أساس عزهم وسعادتهم ومجدهم وسيادتهم، وأيضا جهلهم بضرر عدوهم عليهم فاتخذوا أعداء الإسلام قدوة لهم وقادة وسادة عليهم ونسجوا حياتهم على منوال أعدائهم فأنشئوا القوميات العربية بديلا عن الوحدة العربية والإسلامية، وأخذوا عن الأعداء أن الدين لا يصلح لهذه الحياة الحضارية، فاتجه كثير من العرب إلى تقليد إخوان القردة والخنازير حذو القذة بالقذة، وبسبب هذا ضاع كثير من العرب وذابوا كما يذوب الملح في الماء، وصاروا كقطيع من الغنم تركت للذئاب ترعاها، فتحول عزهم إلى ذل، وقوتهم إلى ضعف، ومجدهم إلى هوان، وشجاعتهم إلى جبن وخور، وشهامتهم ورجولتهم وعفافهم إلى فسق وفجور، إلا من رحم الله، فلما وصل العرب إلى هذه الحال صاروا أضحوكة عند الأمم، ومهزلة على ألسنة الدول.

وأخوف ما نخافه على العرب أن يستمر فيهم ضعف الوعي وضعف الإدراك لما حل بهم من الرزايا والبلايا وافتتانهم بكل دعوة واندفاعهم إلى كل موجة، وخضوعهم لكل متسلط وسكونهم إلى كل منقصة وركونهم إلى عدوهم. فيا معشر العرب، اعلموا أن لكل

جواد كبوة ولكل صارم نبوة، وأن الأيام يداولها الله بين الناس، وأن ضربة لا تقتلني لا تزيدني إلا قوة، فاجعلوا ما حصل منكم في هذا العصر أمرا طارئا وغلطة مفاجئة لا ترتضوها، ولا تستمروا عليها، بل اجعلوها عبرة.

فالمطلوب العودة إلى ما كان عليه العرب الأوائل، الذين نشروا الإسلام وسادوا الأمم وقادوا الشعوب، وحكموا الأقاليم وحرروا البشرية.

وللعرب مناقب جمة ولجزيرتهم خصائص مهمة ومن ذلك:

ما قاله القاضي عياض في "الشفاء" (٢/ ٦٢٢-٦٢٣) وهو يتحدث عن الحرمين الشريفين: (وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنْزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر: مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين؛ حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها، ومواطن طويت فيها الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها).

وقال أبو الحسن الندوي(١) في رسالته "كيف ينظرون إلى الحجاز وجزيرة العرب": (وهذه الجزيرة في العالم الإسلامي بمثابة مركز القلب في الجسم الإنساني، الذي إذا عاش وقوي وأدى رسالته في الجهاز الجسمي والنظام الحيوي الصحي عاش الجسم وقوي، وإذا دب الوهن إلى هذا القلب أو اعتل واختل عن وظيفته ودوره، أسرع إليه الموت، واستولت

(١) للندوي رحمه الله عدة مؤلفات جمع فيها بين الغث والسمين من تصوف وغير ذلك، للوقوف على بيان ذلك انظر كتاب «الأستاذ أبو الحسن الندوي الوجه الآخر من كتاباته» لمؤلفه صلاح الدين مقبول؛ فإنه مهم.

عليه الأمراض والعلل، وعجز الأطباء الحاذقون عن إعادة الحياة إليه بالطرق الصناعية؛ وذلك لأن الحجاز مهبط الوحي ومبعث الإسلام، ومصدر الدعوة الإسلامية، ومركز الإسلام الدائم وعاصمته الخالدة، وهو البلد المثالي والمقياس الصحيح الدائم للحياة الإسلامية وتعاليم الإسلام العالمية وصلاحيتها للبقاء والتطبيق وظهور المجتمع الإسلامي في حيويته وأصالته وجماله وقوته. فالرسالة الإسلامية، مهما كانت عالمية آفاقية، لابد لها من مركز يعد مقياسا وميزانا لعمليتها وواقعيتها، وأسوة وقدوة لجميع المدن والقرى والمجتمعات التي تؤمن بهذه الرسالة، وتحتضن هذه العقيدة والدعوة).

وقد لخص العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه "خصائص جزيرة العرب" (ص:٦٣-٦٦) المناقب والخصائص المشار إليها فقال:

١- الجزيرة هي مشرق النور الإسلامي.

٢- الجزيرة فيها الكعبة المعظمة.

٣- الجزيرة فيها المسجد النبوي، وفيه الروضة المطهرة.

٤- الجزيرة أنسب المواقع لأن تكون مركزا للسياسة الدينية لتوسطها بين أقصى آسيا شرقا وأقصى إفريقيا غربا.

٥- الجزيرة أسلم الأقاليم من الأخلاط جنسية وأديانا ومذاهب.

٦- الجزيرة أبعد الأقاليم عن مجاورة الأجانب.

٧- الجزيرة أفضل الأراضي لأن تكون ديار أحرار؛ لبعدها عن الطامعين والمزاحمين نظرا لفقرها الطبيعي.

٨- عرب الجزيرة هم مؤسسو الجامعة الإسلامية؛ لظهور الدين فيهم.

٩- عرب الجزيرة مستحكم فيهم التخلق بالدين.

١٠-عرب الجزيرة أعلم المسلمين بقواعد الدين؛ لأنهم أعرقهم فيه، ومشهود لهم بأحاديث كثيرة بالمتانة في الإيمان.

١١-عرب الجزيرة أكثر المسلمين حرصا على حفظ الدين وتأييده والفخار به، خصوصا والعصبية النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وإفريقية.

١٢-عرب الجزيرة لم يزل الدين عندهم حنيفا سلفيا بعيدا عن التشدد والتشويش.

١٣-عرب الجزيرة أقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة؛ لما فيهم من خصائص البدوية.

١٤-عرب الجزيرة أمراؤهم جامعون بين شرف الآباء والأمهات والزوجات؛ فلم تختل عزتهم.

١٥-عرب الجزيرة أقدم الأمم مدنية مهذبة؛ بدليلي سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأدبياتهم.

١٦-عرب الجزيرة أقدر المسلمين على تحمل قشف المعيشة، في سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التغرب والسياحات؛ وذلك لبعدهم عن الترف المذل أهله.

١٧-عرب الجزيرة أحفظ الأقوام على جنسيتهم وعاداتهم؛ فهم يخالطون ولا يختلطون.

١٨-عرب الجزيرة أحرص الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال وإباء الضيم.

١٩- العرب عموما لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف، ومصونة بالقرآن الكريم من أن تموت.

٢٠-العرب لغتهم هي اللغة العمومية بين المسلمين كافة، البالغ عددهم (٣٠٠)

مليون[1].

٢١-العرب لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين.

٢٢-العرب أقدم الأمم اتباعا لأصول تساوي الحقوق، وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية.

٢٣-العرب أعرق الأمم في أصول الشورى في الشئون العمومية.

٢٤-العرب أهدى الأمم لأصول العيشة.

٢٥-العرب من أحرص الأمم على احترام العهود عزة، واحترام الذمة إنسانية، واحترام الجوار شهامة، وبذل المعروف مروءة.

٢٦-العرب أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعا في الدين وقدوة للمسلمين؛ حيث كان بقية الأقوام قد اتبعوا هديهم ابتداء؛ فلا يأنفون عن اتباعهم أخيرا). اهـ.

فالله! الله! في العودة إلى الحق وإلى الرغبة فيه، والقيام به والذب عنه، والاعتزاز به؛ فالحق أحق أن يتبع.

إذا جاهر المؤمن بالمنكرات والبدع فضعفه هلاك

من أضعف المؤمنين إيمانا وأخبثهم نفسا وأجرئهم على الحرمات وأقلهم حياء، المؤمن الذي يجاهر بالمعاصي.

روى البخاري رقم (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم رقم (٢٩٩٠) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ**

(١) علق الشيخ بكر -رحمه الله- في الحاشية في نفس الكتاب على هذه الجملة بقوله: (وعددهم الآن أضعاف ذلك) قلت: وهو كذلك.

رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْهُ».

قال ابن بطال: (في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين وفيه ضرب من العناد لهم وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل أهلها ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد ومن التعزير إن لم يوجب حدا، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك). انظر "فتح الباري" للحافظ ابن حجر (١٠/ ٥٩٨-٥٩٩).

وقال النووي في "شرح مسلم" (١٨/ ٩٣): (هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها وكشفوا ما ستر الله تعالى عليهم، فيتحدثون بها لغير ضرورة ولا حاجة).

قال المرداوي: (وقال جماعة من الأصحاب إن كان الميت معروفا ببدعة أو قلة دين أو فجور ونحوه، فلا بأس بإظهار الشر عنه وستر الخير عنه؛ لتجتنب طريقته). انظر "الإنصاف" (٢/ ٥٠٦).

وقال القرطبي في كتابه "المفهم" (٦/ ٥٥٨): (فأما من اشتهر بالمعاصي، ولم يبال بفعلها، ولم ينته عما نهي عنه، فواجب رفعه للإمام وتنكيله وإشهاره للأنام؛ ليرتدع بذلك أمثاله).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في "مجموع الفتاوى" (٢٨/ ٢١٧-٢١٨): (وأما إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية، ولم يبق له غيبة، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره).

وقال العلامة ابن القيم، كما في "تهذيب مدارج السالكين" للعزي (ص:١٢٣): (الإصرار على المعصية معصية أخرى، والقعود عن تدارك الفارط في المعصية، إصرار ورضا بها وطمأنينة إليها، وذلك علامة الهلاك).

إذا وصل الضعف بالمؤمن إلى انتهاك الحرمات في الخلوات، فهذا من المهلكات

روى الإمام ابن ماجه رحمه الله رقم (٤٣٨٦) عن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**».

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله، انْتَهَكُوهَا**». وهو حديث حسن.

فيا ويل من بارز الله في الخلوات بارتكاب الموبقات وتعاطي المنكرات!! وقد عظم ذنب هذا الصنف؛ لأنه لا يخاف الله ولا يراقبه ولا يخشى سخطه وعذابه، ومن كان هكذا أقبل على المعاصي والقبائح إقبال من لا يخشى عذابا، ولا يرجو رحمة، ولا يخاف نارا. وغير خاف على من له اطلاع على أحوال المسلمين في عصرنا أن أصحاب هذه الجرائم والموبقات يعتمدون على التخطيط والمؤامرة السرية والتظاهر بأنهم مع الإسلام، وهذا من النفاق بمكان!!

وأشنع مما سبق أن صار من هؤلاء من هو كالآلة مع الأعداء يحركونه كيفما أرادوا بعد أن يشبعوا بطنه ويضعوا في جيبه شيئا من الدولارات واليورو، وهل انتشرت الدعوات الإلحادية أو الفجورية والرذائل وغير ذلك في بلاد المسلمين، إلا عن طريق هؤلاء الخونة الفجرة والملاحدة الكفرة، وبمساعدة المبتدعة والمتحزبة الخسرة؟! كفانا الله شر الأشرار، وطوارق الليل والنهار، إلا طارقا يطرق بخير!

الفتن تظهر الضعف الكامن في باطن المؤمن:

إذا وقعت الفتنة في أي مجتمع إيماني لا تخرج ولا تنتهي إلا بنصيبها من المؤمنين، فمنهم من تنسفه، ومنهم من تزلزله، ومنهم من تضعفه في سيره إلى الله وتمسكه بدينه، وهي أشد

نسفا لمن قبلها وخاض فيها، قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ [الحج: ١١]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ**». أَوْ «**يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ زَمَانٌ يُغَرْبَلُ النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، تَبْقَى حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا؛ فَكَانُوا هَكَذَا**». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. فَقَالُوا: وَكَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ «**تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَذَرُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ**». رواه أبو داود رقم (٤٣٤٤).

وعن كرز بن علقمة الخزاعي قال: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ لِلإِسْلاَمِ مِنْ مُنْتَهَى؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ أَوِ الْعَجَمِ أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِمْ خَيْراً، أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ**». قَالَ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ «**ثُمَّ تَقَعُ فِتَنٌ كَأَنَّهَا الظُّلَلُ**». فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: لاَ يَا رَسُولَ الله! قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلَى، وَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَعُودُنَّ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبًّا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**». . رواه أحمد (١٦٣٣٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**». رواه مسلم رقم (٣٢٨).

وأدلة هذا الباب كثيرة جدا، أكتفي بما ذكرت. فتأمل - أخي القارئ - ما في هذه الآيات والأحاديث من بيان لما تجلبه الفتن على المؤمنين. ولا ينجو المؤمن من غوائلها، إلا إذا كان ممن عرف الله في الرخاء، والتجأ إليه عند الفتنة، ورجع إلى أهل العلم وصدر عن

توجيهاتهم ونصائحهم، وأن يكون أيضا ممن هان عليه أن يدفع الفتنة بماله، فإن لم فبنفسه؛ سلامة لدينه، فمن كان كما ذكرنا فلن تزيده الفتنة إلا قوة إلى قوة إيمانه، وصلاحا إلى صلاحه، كما دلت على هذا أحاديث كثيرة صحيحة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – كما في – مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٥) بعد أن ذكر حديث إن الدجال مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ -: (فدل – أي الحديث- على أن المؤمن يتبين له مالا يتبين لغيره، ولا سيما في الفتن، وينكشف له حال الكذاب الوضاع على الله ورسوله، فإن الدجال أكذب خلق الله، مع أن الله يجري على يديه أموراً هائلة ومخاريق مزلزلة، حتى إن من رآه افتتن به، فيكشفها الله للمؤمن حتى يعتقد كذبها وبطلانها.

وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف، وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم).

حال عقول المؤمنين عند مشاركتهم في القتال والدماء:

في آخر الزمان تكثر فتنة القتل والقتال بين المسلمين على الملك، وغيره من حطام الدنيا، فيقتل الرجل أخاه لأبيه وأمه ويقتل عمه وقريبه ويقتل أهل الحق الذين لا يحاربونه على دنياه؛ وهذا بسبب تحكم الشهوات وتمكن الشبهات، وتقلب الأهواء، وتصدر الجهلاء، وتقدم السفهاء. ويدل على ذلك ما جاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ**». **قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟! قَالَ: «الْقَتْلُ». قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ، إِنَّا لَنَقْتُلُ كُلَّ عَامٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفاً. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً». [عند ابن أبي شيبة قالوا: وفينا كتاب الله؟! قال: وفيكم كتاب الله] قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ:**

«**إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ، يَحْسِبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ**». أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٢) واللفظ له وابن ماجه رقم (٣٩٥٩) وابن حبان رقم (٦٧١٠)

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام بلفظ «**إن بين يدي الساعة الهرج**» قلنا: وما الهرج؟! قال: «**القتل! القتل! حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وأباه**» قال: فرأينا من قتل أباه زمان الأزارقة» رواه أبو يعلى (٧٢٣٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لاَ يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلاَ الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ**». **فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ. الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». رواه مسلم رقم (٧٤٨٨).

قال شيخنا العلامة الوادعي في "الصحيح المسند من دلائل النبوة" (٤٥٩) مشيرا إلى معنى الحديث: (وهذا الحديث يحكي عصرنا، وكثرة فتنه، وقتل الظلمة للدعاة إلى الله بدون حق).

قلت: لقد دُسَّت الحزبية الفرعونية الأمريكية في المسلمين في عصرنا، وأصبح كثير من المسلمين أحزابا سياسية كثيرة، ففي اليمن زادت على أكثر من خمسة وأربعين حزبا سياسيا، ومعنى سياسيا: أي تريد الملك. ومن مكايد أمريكا دمرها الله: أنها جعلت الحكم في بلاد المسلمين تحت سيطرتها وفي قبضتها، ومنَّت به كل من انسلخ من الأخوة الإيمانية إلى الأخوة الحزبية الشيطانية، ومن التمسك بالشريعة إلى الدخول في الديمقراطية الشنيعة، فلا تزال هذه الأحزاب تلهث وراء هذا السراب، وهي مستعدة، أن تتحزب حتى مع إبليس؛ من أجل الوصول إلى الملك والرئاسة، فهي تناطح تارة بعضها بعضا؛ ليهلك القوي الضعيف، فربما قتل الرجل أباه وأخاه وابنه ناصرا لحزبه. وهيهات! هيهات! أن يتهيأ له ذلك، وتارة تتعاضد بعضها ببعض، ضد الحكومات القائمة، بل وترتمي الأحزاب المذكورة بين أحضان العدو

الأكبر للمسلمين في الوقت الراهن (الغرب الكافر بقيادة أمريكا)؛ من أجل أن تقوم الدول الغربية بالمدد لهذه الأحزاب. ومعلوم أن هذه الدول لا تقدم مساعدة مالية إلا بعد وضع شروطها على الأحزاب وموافقة الأحزاب عليها، وبعد تحويل الأمور إلى ما تريد الدول الكافرة. ولا تسأل عما تريده الدول الكافرة المذكورة من الأحزاب ودولها والمسلمين، من فتن لا تنتهي!!

فالأحزاب السياسية شؤم على نفسها وعلى المسلمين عموما، فإياك! إياك! أن تكون سندا أو مددا أو مروجا لما عليه هذه الأحزاب أو راضيا بذلك، أما لو دخل فيها المسلم فهو ممن خذل ومكر به، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

ضعف الإيمان يوصل إلى الإفلاس

ضعف المؤمن يصل به إلى عواقب ولا بد، ومنها: الإفلاس في الآخرة، كما دلت على ذلك الأحاديث، ومنها: ما جاء عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**». قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**». رواه مسلم رقم (٦٧٤٤).

قال القاضي عياض في شرحه هذا الحديث في "الإكمال" (٨/ ٥٠): (فأعلمهم أن حقيقة المفلس هو الهلاك التام والعدم المتصل المهلك، مثل هذا الذي كانت له حسنات وللناس عليه تِبَاعَاتٌ، فأخذوا حسناته كما يؤخذ من الغريم ما بيده، ثم لما لم يكن له حسنات طرحت عليه سيئاتهم وطرح في النار ليتم هلاكه وتأبد فلسه، وأيس من فلاحه وانجبار حاله، إلا ما يكون بعد مما تفضل الله به من إخراج المذنبين وإدخالهم الجنة بعد الأمر الذي قدره الله في هذا

البوار، نعوذ بالله من فلس الدنيا والآخرة).

وقال الشيخ ابن عثيمين في "شرح رياض الصالحين" (٢/ ٥٢٩) عند هذا الحديث: (وصدق النبي ﷺ؛ فإن هذا هو المفلس حقا، أما مفلس الدنيا فإن الدنيا تأتي وتذهب، ربما يكون الإنسان فقيرا فيسمى غنيا أو بالعكس، لكن الإفلاس كل الإفلاس أن يفلس الإنسان من حسناته التي تعب عليها، وكانت أمامه يوم القيامة يشاهدها، ثم تؤخذ منه لفلان وفلان، وفي هذا تحذير من العدوان على الخلق، وأنه يجب على الإنسان أن يؤدي ما للناس في حياته قبل مماته؛ حتى يكون القصاص في الدنيا مما يستطيع أما في الآخرة فليس هناك درهم ولا دينار، حتى يفدي نفسه ليس فيه إلا الحسنات).

فيا من يريد النجاة يوم يخسر المبطلون ويهلك الكذابون ويلعن الظالمون، توقَّ غصص ذلك اليوم العصيب، وتوقيك يكون بإعطاء كل ذي حق حقه؛ فالظلم ظلمات يوم القيامة، ورد المظالم إلى أهلها قبل أن تؤديها من حسناتك، أو تتحمل من أوزار من ظلمتهم، قال الرسول ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**». رواه مسلم رقم(٦٧٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إقسام الله أنه سيظهر المؤمن الضعيف والمؤمن القوي:

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٦٧-٢٧٧) عند هذه الآية: (أي: لا بُد أن يعقد سببا من المحنة، يظهر فيه وليه، ويفتضح فيه عدوه، يُعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر. يعني بذلك: يوم أحد الذي امتحن به المؤمنين؛ فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم [وثباتهم] وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ وهتك به ستر المنافقين، فظهر مخالفتهم ونُكُولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله ﷺ، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٢] وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [محمد: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

قال العلامة ابن القيم، كما في "بدائع التفسير" (٣/ ٣٦٦): (فمن قال: (آمنا) امتحنه الرب تعالى وابتلاه؛ لتتحقق بالإيمان حجة إيمانه وثباته عليه، وأنه ليس بإيمان عافية ورخاء فقط، بل إيمان ثابت في حالتي النعماء والبلاء).

وقال أيضا، كما في المصدر نفسه (٣/ ٣٦٦-٣٦٧): (فإن الإنسان خلق عرضة للذة والألم والسرور والحزن والفرح والغم، وذلك من جهتين: من جهة تركبه وطبيعته وهيئته؛

فإنه مركب من أخلاط متفاوتة متضادة يمتنع أو يعز اعتدالها من كل وجه، بل لا بد أن يبغي بعضها على بعض، فيخرج عن حد الاعتدال؛ فيحصل الألم، ومن جهة بني جنسه، فإنه مدني بالطبع لا يمكنه أن يعيش وحده، بل لا يعيش إلا معهم، وله ولهم لَذَاذَاتٌ ومطالب متضادة ومتعارضة لا يمكن الجمع بينها، بل إذا حصل منها شيء فات منها أشياء، فهو يريد منهم أن يوافقوه على مطالبه وإرادته، وهم يريدون منه ذلك، فإن وافقهم حصل له من الألم والمشقة بحسب ما فاته من إرادته، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه وسعوا في تعطيل مراداته، كما لم يوافقهم على مراداتهم؛ فيحصل له من الألم والتعذيب بحسب ذلك. فهو في ألم ومشقة وعناء وافقهم أو خالفهم، ولاسيما إذا كانت موافقتهم على أمور يعلم أنها عقائد باطلة وإرادات فاسدة، وأعمال تضره في عواقبها، ففي موافقتهم أعظم الألم. وفي مخالفتهم حصول الألم فالعقل والدين والمروءة والعلم تأمره باحتمال أخف الألمين؛ تخلصا من أشدهما وبإيثار المنقطع منهما؛ لينجو من الدائم المستمر. فمن كان ظهيرا للمجرمين من الظلمة على ظلمهم، ومن أهل الأهواء والبدع على أهوائهم وبدعهم، ومن أهل الفجور والشهوات على فجورهم وشهواتهم، ليتخلص بمظاهرتهم من ألم أذاهم، أصابه من ألم الموافقة لهم عاجلا وآجلا أضعاف أضعاف ما فر منه). اهـ.

أخي المؤمن، لا يكن في نفسك شيء أعز من ثباتك عند الفتن والمحن، ولا يتحقق لك هذا إلا بكثرة اللجوء إلى ربك، والتحري للحق جهدك.

انتشار الإسلام في بلاد الكفار مع ضعف المؤمنين، إلا من عصمه الجبار

إن الله ناصر دينه بمن شاء وكيف شاء في بلاد الكفار وغيرها، فهاهو الإسلام ينتشر في عصرنا انتشارا واسعا يعم الكرة الأرضية، كما هو معلوم، والحمد لله! وقد دلت بعض الإحصائيات على كثرة الإقبال على دين الإسلام، ومن أغرب ما قرأته في ذلك أن أحد

القساوسة أسلم، واستجاب له ربع مليون من النصارى الذين أسلموا على يديه، انظر: كتاب «المعجزة المتجددة في عصرنا الإسلام» (ص: ٧٠٩) وقد زاد عدد الداخلين في الإسلام في بلاد الغرب بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر وهو تدمير المركز التجاري العالمي في أمريكا عن طريق ارتطام طائرتين عليهما، فقد أعلن رئيس مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكي نهاد عوض قائلا: (إن أكثر من (٢٤٠٠٠) أمريكي قد اعتنقوا الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وهو أعلى مستوى تحقق في الولايات المتحدة منذ دخلها الإسلام). نقلا من كتاب "المعجزة المتجددة في عصرنا" (ص: ١٥٦).

وقال مراسل إذاعة الـ (بي بي سي) في روسيا هاني شادي: إن وزارة الداخلية الروسية تبدي قلقها من دخول (٣٠) روسياً أرثوذوكسيا كل شهر في دين الإسلام.اهـ. من تقارير الـ(بي بي سي) صباح يوم الأربعاء (٢٠/ شوال/ ١٤٢٨هـ - الموافق ٣١/ اكتوبر/ ٢٠٠٧م).

قلت: سبحان الله! يتحقق هذا الإقبال على الإسلام، مع كثرة المحاربة له من أعدائه خصوصا الغرب في الوقت الراهن، وكيف لا، وقد قامت دول الغرب بإعداد المستشرقين وأرباب الكنائس والمنصرين لمحاربة الإسلام، ومدت المنافقين والمتزندقين بما يشتهون؛ ليكونوا قوة ضاربة معها ضد الإسلام باسم الإسلام وأغرت كثيرا من حكام المسلمين بالرغبة والرهبة؛ ليحاربوا دينهم، وقد فعلوا ذلك؛ فسجونهم مملوءة بالدعاة إلى الله والعلماء وطلاب العلم. وجندت أيضا وسائلها للتشويه والطعن في الإسلام، بل صادرت أمريكا - دمرها الله- الجمعيات والمؤسسات الخيرية، ومنعت المساعدات إلى المحتاجين والفقراء والمساكين في أنحاء العالم، إلى غير ذلك من مكر أمريكا دمرها الله!! ومع هذا فالإسلام ينتشر بحمد الله في مشارق الأرض ومغاربها والرجوع إليه من قبل أهله أكثر وأكثر، وهذا أمر قضاه الله وقدره.

ولا ننسى أن هذا الانتشار مصداق قول الرسول ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ**». رواه الإمام أحمد (٤/ ١٠٣) من حديث تميم الداري ﷺ.

وهذا الحديث فيه بشارة بأن المستقبل للإسلام وأهله. أسأل الله أن يمكن لدينه، وأن ينصر أولياءه ويذل أعداءه، إنه على كل شيء قدير.

شأن المنافقين التظاهر بقوة الإيمان مع تمكن الضعف منهم في الباطن

لقد فضح الله المنافقين في سور كثيرة، وأخبر أنهم يتظاهرون بالإيمان وليسوا بمؤمنين حقيقة، بل قد يتظاهرون بقوة الإيمان كخروجهم في الغزو وغيره، واكتفاء المنافقين بالتظاهر بالإيمان فقط هو بسبب قوة مرض النفاق الذي في قلوبهم، قال سبحانه وتعالى فيهم: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[التوبة: ٦٤].

وقال تعالى:﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾

[محمد: ٢٩].

وقال: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[محمد: ٢٠ - ٢١].

وقال: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢]

والآيات الواردة في ذكر مرض قلوب المنافقين كثيرة، وأمراض قلوبهم متنوعة، ومنها: الشك والحقد والحسد والرياء والاغترار والبغض والكره للحق وأهله، وحب المنكرات والاحتقار للمؤمنين والسخرية منهم، والتعظيم والحب لأعداء الله، والرضا عنهم، وغير

ذلك، فقلوب المنافقين تغلي بما فيها من أمراض. فالله! الله! في إصلاح القلوب وتلافيها، قبل تلفها، وتثبيتها قبل إزاغتها، قال العلامة ابن عثيمين في "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٤٩٦): (فالإنسان مدار صلاحه وفساده على القلب، ولهذا ينبغي لك أيها المسلم أن تعتني بصلاح قلبك، فصلاح الظواهر وأعمال الجوارح طيب، ولكن الشأن كل الشأن في صلاح القلب.

يقول الله عن المنافقين:﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]

وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم: من الهيئة الحسنة وحسن عمل الجوارح، وإذا قالوا قولا تسمع له؛ من حسنه وزخرفته، لكن قلوبهم خربة، والعياذ بالله:﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾[المنافقون: ٤] ليس فيها خير).

أسباب ضعف دعاة البدع والتحزب

لقد بين رسول الله ﷺ أسباب ضعف أهل البدع والتحزب، ومن أعظم ما بينه من أسباب ضعفهم الآتي:

١- أخذهم بالمتشابه من القرآن والسنة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ؛ فَاحْذَرُوهُمْ**». رواه البخاري رقم(٤٥٤٧) ومسلم رقم(٢٦٦٥).

قال شيخنا الوادعي رحمه الله في كتابه "دلائل النبوة" (ص:٤١٣): (وهذا قد وقع، كما أخبر به النبي ﷺ، فلا ترى مبتدعا ولا زنديقا إلا وهو يستدل بالمتشابه، والله المستعان).

قلت: الناظر إلى أحوال أهل البدع والتحزب يرى أن أكثر ما وقعوا فيه من المتشابه هو المتشابه النسبي، أي: المنسوب إليهم وأمثالهم؛ بدليل حالهم المشاهد لأهل العلم، فهم يأخذون طرفا من الأدلة ويتركون الطرف الآخر، يأخذون بالمجمل ويتركون المفصل، ويأخذون بالعام ويتركون الخاص ويأخذون بالمطلق ويتركون المقيد، ويأخذون بالمنسوخ ويتركون الناسخ، ويأخذون بالحديث الضعيف ويتركون الصحيح، ويأخذون بالقول الشاذ ويتركون القول الصحيح، ويأخذون بالمرجوح ويتركون الراجح، ويأخذون عن المتأخرين ويتركون الأخذ عن السلف، وغير ذلك. وبعضهم قد يعكس بعض هذه وبعضهم يأخذ حيث مال به هواه.

٢- بقاؤهم على الجهل بدين الإسلام:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**». رواه البخاري رقم(١٠٠).

قال القرطبي في "المفهم" (٦/ ٧٠٨): (إذا ذهب العلم بموت العلماء خلفهم الجهال، فأفتوا بالجهل، فعمل به فذهب العلم والعمل، وإن كانت المصاحف والكتب بأيدي الناس).

وجهل أهل البدع والتحزب بالإسلام نجمله في الآتي:

أ- الجهل بمنهج الأنبياء، وما أنزل الله إليهم من الهدى والنور.

ب- الجهل بنصوص الشرع.

ج- الجهل بآثار السلف وعقيدتهم ومنهجهم ومنزلتهم.

د- الجهل بقواعد الشرع ومقاصده.

هـ- الجهل بمنهج الاستدلال والتلقي، فهم مبتلون بهذه الأنواع، وإن كانوا متفاوتين في ذلك.

وقد أوضحنا جهلهم هذا في كتابنا "بداية الانحراف ونهايته" فجعل هذا الصنف عمدة في الفتوى أو مرجعية في المسائل التي فيها مصير الأمة، من توسيد الأمور إلى غير أهلها؛ وهذا التوسيد من علامات قرب الساعة وأشراطها، دل على ذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ ... فَقَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**». قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**». رواه البخاري رقم (٥٩).

قال المناوي في "فيض القدير" (١/ ٤٥١): (والتوسيد في الأصل: أن يجعل للرجل وسادة. ثم استعمل في تفويض الأمر وإسناده إلى غيره، وإنما دل على دنو الساعة؛ لإفضائه إلى اختلال الأمر والنهي، ووهن الدين وضعف الإسلام، وغلبة الجهل، ورفع العلم، وعجز أهل الحق عن القيام به ونصرته).

٣- اتباعهم الكفار وقبول ما هم عليه قلة أو كثرة:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ، لَسَلَكْتُمُوهُ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «**فَمَنْ؟!**». رواه البخاري رقم (٣٤٥٦) ومسلم رقم (٢٦٦٩).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**». فَقِيلَ يَا رَسُولَ الله، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟. فَقَالَ: «**وَمَنِ**

النَّاسُ، إِلاَّ أُولَئِكَ؟!». رواه البخاري رقم (٧٣١٩).

هذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ لأن الرسول ﷺ أخبر عما سيكون من أمته من اتباع الكفار والمجوس واليهود والنصارى وغيرهم. وقد حصل هذا، إلا من عصمه الله بمنهاج النبوة.

وخطر هذا الاتباع أعظم مما يتصور المسلم، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" (١/ ٢٠٩): (وإذا كانت مخالفتهم سببا لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة). اهـ.

قلت: جعل مخالفتهم من أسباب ظهور الدين وعلاماته؛ فتكون موافقتهم من أسباب ضعف الدين في قلوب الناس، ومظهرا من مظاهر ضياعه ونسيانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضا في المصدر السابق (١/ ٨٢): (فعلم بخبره الصدق أن لا بد أن يكون في أمته قوم متمسكين بهديه الذي هو دين الإسلام محضا وقوم منحرفين إلى شعبة من شعب دين اليهود أو إلى شعبة من شعب دين النصارى، وإن كان الرجل لا يكفر بهذا الانحراف، بل وقد لا يفسق أيضا بل قد يكون الانحراف كفرا وقد يكون فسقا وقد يكون سيئة وقد يكون خطأ).

قلت: الرسول ﷺ جعل اتباعهم مطلقا فيكون الاتباع لهم في العقائد والعبادات والأحكام والعادات والسياسة وغير ذلك ونصيب أهل البدع والتحزب من التلقي عن أعداء الإسلام والتشبه بهم والاتباع لهم كثير قديما وحديثا، أما قديما فقد سطر ذلك العلماء في كتبهم وأوضحوه في مصنفاتهم، ومن أعظم الكتب الجامعة لذلك والموضحة كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية "اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم".

وأما الاتباع لهم والتشبه بهم والتلقي عنهم في عصرنا فهو أضعاف أضعاف ما حصل من قبل.

وهاأنا ألخص مجمل التلقي عن أعداء الإسلام في عصرنا وهو كالآتي:

أ- تلقي النظريات الكونية المتضمنة لإنكار وجود الله وربوبيته، وإنكار السماوات السبع والعرش والكرسي وغير ذلك بل جعلها كثير من كتَّاب المسلمين المفتونين بها إعجازا قرآنيا ونبويا، وقد أوضحنا بطلان كثير من هذه النظريات في كتابنا "نقض النظريات الكونية".

ب- قبول الديمقراطية وهي ملة ملاحدة اليهود والنصارى الذين عرفوا بالعلمانيين أي: لا دينيين، والديمقراطية شعارها الحرية والمساواة، أما الحرية عندهم فهي المطلقة، ويريدون بها حرية الدين وحرية الرأي وحرية الاقتصاد والحرية الشخصية، وكل نوع من هذه الأنواع تأتي على دين المسلم، وقد أوضحنا هذا في كتابنا "الإيضاحات الموثقة في بيان بوائق دعوة المساواة المطلقة" وأما المساواة عندهم فهي تعم مساواة المسلم بالكافر والمسلمة بالكافرة، والقرآن الكريم بالتوراة والإنجيل المحرفتين المنسوختين، ومساواة المساجد بالكنائس والمعابد، ومساواة الرجل بالمرأة والعكس، ونهاية هذه المساواة اكتفاء الرجال بالرجال والنساء بالنساء؛ لأنهم يرون أن تزويج الرجل بالمرأة ضد المساواة.

ولم يقف أعداء الإسلام عند هذه المساواة، بل ظهرت الحقيقة، وهي: أن المسلم عندهم أنزل من الكلب، كما أوضحنا ذلك في كتابنا "الإيضاحات الموثقه في بيان بوائق دعوة المساواة المطلقه".

ودعوة الحرية والمساواة قد قبلها بعض المسلمين، ومنهم من تأثر بها ولم يسلم منها إلا من تمسك بمنهاج النبوة، والذين قبلوها فهم ما بين مستقل ومستكثر، وكانت دعوة المساواة

الديمقراطية فتنة على النساء، وأي فتنة!! لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمم الكافرة، فضلا عن أمة الإسلام، وقد بلغ الافتتان بها في أوساط نساء المسلمين كافتتان نساء الكفار، فعظمت محنة المسلمين واستشرى الشر في أوساطهم بما لم يسبق له نظير. ومما تقوم عليه الديمقراطية فصل الدين عن السياسة – أي: الدولة – ومعناها: تنحية الشريعة الإسلامية، والحكم بالقوانين الديمقراطية، بل جُعلت لذلك دساتير.

وتقوم الديمقراطية على إنشاء الأحزاب السياسية، أي: التي تنافس في الحكم، وقد استجاب لهذه الحزبية طلاب الدنيا، فأصبح المسلمون في كل دولة أحزابا كثيرة، وهذه علة العلل في المسلمين، وهذه الأحزاب مطالبة من قبل دول الغرب أن ترتبط بها وتسير من قبلها فهي كالآلة بأيدي الأعداء. وتقوم الأحزاب على احترام بعضها بعضا، ومناصرة بعضها بعضا، مهما كان بينها من اختلاف في الدين كالأحزاب العلمانية.

وعلى سبيل المثال: قبول حزب الإخوان المسلمين للتعددية الحزبية، فقد صار يلتقي جنبا إلى جنب مع الأحزاب العلمانية على مختلف إلحادها من شيوعية وبعثية وغيرها. وقد يقول قائل: لِمَ جعلت أهل البدع والتحزب أساس التلقي عن الكفار، مع أن الدول والحكام المسلمين يقبلون كثيرا مما جاء به الكفار؟ والجواب: قبول الدول والحكام المسلمين ما ذكر جاء تباعا لدعاة وعلماء أهل البدع والتحزب؛ فإن هؤلاء العلماء منهم من يكون مفتيا للدول وحكام المسلمين، فتنطلق الدول الإسلامية إلى اتباع اليهود والنصارى، بعد التبرير لها من قبلهم، بل ويقوم بعض هؤلاء العلماء والدعاة ما بين الحين والآخر بالدعوة إلى ما يريده الأعداء، بل لقد وصل الأمر ببعضهم إلى أن دعوا إلى وحدة الأديان!!! فلو وقف هؤلاء العلماء والدعاة مع الحق، وحذروا دولهم وأحزابهم من قبول ما عند إخوان القردة والخنازير من كفريات وضلالات، لما حصل ما حصل، وقد أوضحنا هذا الاتجاه لعلماء الفرق

والأحزاب في كتابنا "الكشف المبين عن أصناف المبدلين".

فانظر أيها المسلم إلى ما جلبه دعاة البدع والتحزب على الإسلام وأهله حكومات وشعوباً، بل وعلى أنفسهم، وانظر إلى ضعفهم في التمسك بالإسلام؛ فهم أذناب لكل ناعق وأذيال لكل ماحق، وإخوان لكل مارق، وعون لكل فاسق، ومتآمرون على المسلمين مع كل منافق، فإلى الله نشكو غربة الإسلام وأهله!!

اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة والمكذوبة والآراء الشاذة والقصص الباطلة وغير ذلك. وقد أوضحنا هذا الاعتماد في كتابنا "الكشف المبين عن أصناف المبدلين". وبسبب هذا الاعتماد أدخلوا في الإسلام، الذي يدعون الناس إليه، أشياء كثيرة، حتى إن من يعرف الإسلام الذي جاء به سيد الأنام يرى هؤلاء على غير الإسلام في أمور كثيرة، يوالون ويعادون من أجلها، بل ويقاتلون المسلمين لبقائها، بل ويستنصرون بالكفار على المسلمين.

الفصل الثالث

نبذة عن المؤمن القوي

عافية أمة الإسلام في أولها وسيصيب آخرها بلاء

لقد أكرم الله سلف هذه الأمة بالعافية في دينها، فقد كان السلف على منهاج النبوة علما وعملا حاكما ومحكوما شبابا وشيبانا، بشهادة الرسول ﷺ لهم، ففي صحيح الإمام مسلم رقم(٤٨٨٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا... إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ. وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا...**».

وجاء بسند حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل**» أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "اليقين" رقم (٣) وفي كتاب "قصر الأمل" رقم (٢٠) والإمام أحمد في الزهد (ص:١٦) والأصبهاني في الترغيب (١/ ١٤٦) رقم: (١٦٥).

والأدلة على قوة السلف في أمر الدين كثيرة غير محصورة، ومنها: الأحاديث التي وردت في مدح القرون المفضلة، وهي مشهورة منشورة في كتب السنة.

ومما يدل على خيريتهم: ما تحقق على أيديهم من الفتوحات العظيمة الواسعة، التي بهرت العالم، وأيضا مما يدل على خيريتهم: عدم الابتداع في الدين وعدم تقليد الكفار، فكفى بهذه عافية!!

ولقد كانت العافية في عصر النبوة أكمل وأتم منها فيما بعد، وكانت أيضا في عهد الخلافة الراشدة أكمل منها فيما بعد، فكلما كان المسلم أكثر حرصا على اتباع السلف، كان أكثر صلاحا. قال الإمام مالك: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).

المؤمن القوي ينصره الله على شياطين الجن والإنس

لقد أخبر الله في كتابه أن إبليس وجنوده من الجن والإنس لن يضروا المسلم المتمسك بدينه ضررا يذهب بدينه، أو يفسده عليه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾[المائدة: ١٠٥].

فمن في قوله: ﴿مَّن ضَلَّ﴾ للعموم، أي: جميع الضُّلاَّل؛ فهم لن يضروا المؤمن، فيدخل فيهم شياطين الجن، بل قد أخبر الله في كتابه أن كفار الإنس يئسوا من أن يضلوا الصحابة، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾[المائدة: ٣].

وأخبر الرسول ﷺ أن شياطين الجن أيسوا من إضلال المسلمين في الجزيرة العربية في عهد الرسالة والخلافة، روى مسلم رقم (٧٢٨١) عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**».

بل شياطين الجن والإنس يفرون من المؤمن القوي، وكلما كان أقوى في إيمانه وإخلاصه كانوا أشد فرارا منه، روى الترمذي رقم(٤٠٥٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ قَدْ فَرُّوا مِنْ عُمَرَ!**». فما من مؤمن قوي إلا ويفر منه شياطين الإنس والجن، بقدر قوة إيمانه وثبات يقينه.

وروى البخاري رقم (٣٢٧٧) ومسلم رقم (١٠٧٩) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**».

وفي "التفسير الكبير" (٣/ ١٣٢) المنسوب لشيخ الإسلام وهو يشرح هذا الحديث: (وما ذاك إلا. لأنه في شهر رمضان تنبعث القلوب إلى الخير والأعمال الصالحة، التي بها وبسببها تفتح أبواب الجنة، ويمتنع من الشرور، التي بها تفتح أبواب النار وتصفد الشياطين، فلا يتمكنون أن يعملوا ما يعملونه في الإفطار؛ فإن المصفد هو المقيد؛ لأنهم إنما يتمكنون من بني آدم بسبب الشهوات، فإذا كفوا عن الشهوات صفدت الشياطين).

ألا ترضى أيها المؤمن بهذا النصر الذي اختصك الله به، فلو أجمعت الأمم بكل قواها ما قدرت على أن تنصرك على شيطان واحد. فانظر ما أكرمك على الله؛ حيث جعل سبحانه نصره لك بما لا يقدر عليه جميع الخلق، فعليك أن تنصر ربك؛ لتنال نصره، قال سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧]. ونصرك له: أن تكون مع الحق حيث كان، وأن تقبله ظاهرا وباطنا لك أو عليك، فإن لم ترزق هذا النصر فما أهونك على الله وما أهونك على الخلق، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

المؤمن القوي يواجه كل ما يصعب على غيره بإذن الله

لقد كثر في القرآن ذكر المؤمنين الذين ابتلاهم الله بلاء حسنا فواجهوا المؤامرات عليهم والكيد والمكر بهم، من قبل صناديد الكفر وجبابرة الأرض، بقوة إيمانهم؛ فكانت العاقبة الحميدة لهم، ومن ذلك ما أخبر الله به عن سحرة فرعون - الذين أسلموا - أنهم قالوا لفرعون:

﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝٧٣﴾ [طه: ٧٢ - ٧٣].

وهاهو مؤمن آل فرعون يظهر إيمانه بعد كتمانه له، ويصدع بالحق بين يدي الجبار العنيد

فرعون، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ .... إلى قوله... وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [غافر: ٤١ – ٤٥].

وهاهي امرأة فرعون آسيه عليها السلام تلتجئ إلى الله؛ في أن يصرف عنها طغيان زوجها، وضلال قومها، قال الله سبحانه مخبراً عنها: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [التحريم: ١١].

وهاهي مريم بنة عمران تعتزل قومها؛ لما فيهم من الفساد، ولا تعبأ بلوم اللائمين، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ [مريم: ١٦ – ١٧].

وقد كان لأصحاب رسول الله ﷺ النصيب الأكبر من الثبات على الإيمان عند المحن قال تعالى ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالى ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]، فحصل لهم هذا بسبب أنهم بايعوا على

الموت في سبيل الله، وكانوا صادقين.

وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾[التوبة: ١١٧].

وهذه الغزوة كانت في مواجهة الروم، فلما تحملوا أنواعا من المشاق، وبذلوا أموالهم فيها، تاب الله عليهم ورضي عنهم، فلم يعلم قط أن الله أنزل على نبي من أنبيائه ورسول من رسله أنه قد رضي عن أتباعه، إلا ما أنزله على نبيه ﷺ. فهذا الرضا مما اختص الله به صحابة محمد ﷺ، ومن تبعهم بإحسان.

المؤمن القوي يصرف قواه القلبية في مرضاة الله

ومما لابد منه لكل مؤمن: أن يقوم بتصريف قوى قلبه التي فطره الله عليها تصريفا شرعيا. وهذا التصريف لا يقدر عليه إلا قوي الإيمان، المتجرد للحق، المخلص لله وحده. وقد أوضح العلامة ابن القيم في "التبيان في أقسام القرآن" (٢/ ٢٦٠-٢٦١) كيفية التصريف المشار إليه فقال: (فما ابتلي – القلب – بصفة من الصفات إلا وجعل لها مصرفا ومحلا ينفذها فيه، فجعل لقوة الحسد فيه مصرفا وهو المنافسة في فعل الخير والغبطة عليه والمسابقة إليه، ولقوة الكبر مصرفا، وهو التكبر على أعداء الله تعالى وإهانتهم. وقد قال النبي ﷺ لمن رآه يختال بين الصفين في الحرب: «**إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن**».

وقد أمر الله سبحانه بالغلظة على أعدائه، وجعل لقوة الحرص مصرفا، وهو الحرص على ما ينفع، كما قال النبي ﷺ: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»، ولقوة الشهوة مصرفا، وهو التزوج بأربع والتسري بما شاء، ولقوة حب المال مصرفا، وهو إنفاقه في مرضاته تعالى والتزود منه لمعاده، فمحبة المال على هذا الوجه لا تذم، ولمحبة الجاه مصرفا، وهو استعماله في تنفيذ أوامره

وإقامة دينه ونصر المظلوم، وإغاثة الملهوف، وإعانة الضعيف، وقمع أعداء الله، فمحبة الرياسة والجاه على هذا الوجه عبادة، وجعل لقوة اللعب واللهو مصرفا، وهو لهوه مع امرأته أو بقوسه وسهمه أو تأديبه فرسه وكل ما أعان على الحق، وجعل لقوة التحيل والمكر فيه مصرفا وهو التحيل على عدوه وعدو الله تعالى بأنواع التحيل، حتى يراغمه ويرده خاسئا ويستعمل معه من أنواع المكر ما يستعمله عدوه معه، وهكذا جميع القوى التي ركبت فيه جعل لها مصرفا، وقد ركبها الله فيه؛ لمصالح اقتضتها حكمته، ولا يطلب تعطيلها، وإنما تصرف مجاريها من محل إلى محل، ومن موضع إلى موضع. ومن تأمل هذا الموضع وتفقه فيه علم شدة الحاجة إليه وعظم الانتفاع به). اهـ.

قلت: أكثر فساد المؤمنين بسبب الجهل بتصريف أعمال القلوب أو العجز عن ذلك. فيا مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك.

المؤمن المقتصد قوي الإيمان، والسابق بالخيرات أقوى منه

لقد قسم الله من اصطفاهم إلى أقسام ثلاثة، فقال: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾[فاطر: ٣٢].

قال ابن كثير في تفسيره (١١/ ٣٢٢) عند هذه الآية: ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ ﴾ وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾[فاطر: ٣٢] وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات).

وقال العلامة ابن القيم في "طريق الهجرتين" (ص:٢٨٩): (والمقتصد اقتصر من الزاد على ما يبلغه، ولم يشد مع ذلك أحمال التجارة الرابحة، ولم يتزود ما يضره، فهو سالم غانم،

لكن فاتته المتاجر الرابحة، وأنواع المكاسب الفاخرة).

وقال أيضا في المصدر المذكور (ص:٢٩٠): (أما السابقون في الخيرات فهم نوعان أبرار ومقربون). اهـ.

فعلى هذا فالفارق بين المؤمن المقتصد، وبين المؤمن السابق إلى الخيرات هو: أن المقتصد مؤدٍّ للواجبات التي أوجبها الله عليه، من محافظة على الصلوات والصيام والصدق والأمانة وغير ذلك، وتارك للمحرمات، وأما المستحبات والمكروهات فليس من أهلها، وإن حصل منه شيء من ذلك فعلى سبيل القلة؛ لأن المستحبات أكثر من الواجبات، والسابق إلى الخيرات يزيد على ما عند المقتصد بالإكثار من المستحبات، ويكثر من الحرص على فروض الكفاية وعلى نفع الآخرين ويترك الشبه والمكروهات، فيا له من سبق منتهاه الفردوس الأعلى في الجنة جعلنا الله من السابقين إلى الخيرات.

لا يكفي المؤمن أن يكون عنده قوة إيمان، حتى يضم إليه مقوماته

من المؤمنين من يعتمدون على قوتهم الإيمانية دون أن يقوموا بما تتحقق به هذه القوة من إخلاص لله وتوكل عليه وعدم الاعتماد على حولهم وقوتهم وغير ذلك، والأدلة على أنه لابد مع قوة الإيمان من مقومات أخرى: قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: ٧٩] فأفادت الآية أن يكون القوي صاحب حق واتباع لمنهاج النبوة، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالقوة هنا في العزيمة، وقد أمر الله نبيه بالتوكل عليه، والتوكل هو: اعتماد القلب على الله تفويضا وتسليما وثقة به سبحانه، فمن اكتفى بقوته الإيمانية فقد خذل، قال الإمام الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (١١/ ٢٣٤): (الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة وإخلاص فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به والقوي بلا إخلاص يخذل، فمن قام بهما كاملا فهو

صديق، ومن ضعف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله).

وقال العلامة ابن القيم في"إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان" (٧٥-٧٦): (وتارة يوطن نفسه على الصبر ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه لضعف علمه وبصيرته وصبره : كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن، وهو يعلم أنه إن صبر عليه انقضى الخوف وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر وقوة يقين بما يصير إليه، ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق، ولم يتحمل مشقتها).

وقال في "الفوائد" (ص:٦٢): (ما أخذ العبد ما حرم عليه إلا من جهتين: إحداهما: سوء ظنه بربه وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرا منه حلالا. والثانية: أن يكون عالما بذلك وأن من ترك لله شيئا أعاضه خيرا منه، ولكن تغلب شهوته صبره وهواه عقله، فالأول من ضعف علمه، والثاني من ضعف عقله وبصيرته).

وللشنقيطي كلام نفيس، قال في تفسيره "أضواء البيان" (٣/ ٣٣٥) وهو يشرح قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ ﴾[الفتح: ٢١]: (فدلت الآية على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به هو السبب لقدرة الضعيف على القوي، وغلبته له ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾[البقرة: ٢٤٩].

وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا ﴾[الفتح: ٢١] فعل في سياق النفي، والفعل في سياق النفي من صيغ العموم على التحقيق، كما تقرر في الأصول).

فمتى قرنت قوة الإيمان بالإخلاص واليقين بالحق والبصيرة في الدين، فأبشر- ثم أبشر- بالنصر من الله.

وسطية المؤمن القوي واعتداله حال السراء والضراء

كثيرا ما يهلك الناس حال السراء أو الضراء، ولا يسلم من هذا إلا المؤمنون الأقوياء في الإيمان علما وعملا، روى الإمام مسلم رقم (٧٦٩٢) عن صهيب الرومي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ!! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». قال العلامة ابن عثيمين في "شرح رياض الصالحين" (١/ ١٩٩) وهو يشرح الحديث المذكور: (وفي هذا الحديث: الحث على الإيمان وأن المؤمن دائماً في خير ونعمة. وفيه أيضاً: الحث على الصبر على الضراء، وأن ذلك من خصال المؤمنين. فإذا رأيت نفسك عند إصابة الضراء صابراً محتسباً تنتظر الفرج من الله – سبحانه وتعالى – وتحتسب الأجر على الله فذلك عنوان الإيمان، وإن رأيت العكس فلُم نفسك، وعدل مسيرك، وتب إلى الله). اهـ.

واحذر – أيها المؤمن – الأشر والبطر والكبر والعجب والغرور عند السراء واحذر الجزع والتضجر واليأس والقنوط والكسل والعجز عند الضراء. نشكو إلى الله ضعف إيماننا، وكثرة جهلنا!!

المؤمن القوي يدب فيه الضعف:

من الآفات والأدواء التي لا يسلم منها المتمسكون بمنهاج النبوة: الفتور بعد النشاط، والإدبار بعد الإقبال، والكسل بعد العزم، والتأخر بعد التقدم، والتقهقر بعد الثبات. وقد حذر الرسول ﷺ من قبول هذا الداء والتمادي فيه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَةً، وَلِكُلِّ شِرَةٍ فَتْرَةً، فَمَنْ كَانَتْ شِرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي، فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَقَدْ هَلَكَ**». رواه أحمد (٢/ ١٨٨) وغيره.

قال المناوي في "فيض القدير" (٢/ ٥١٤) عند قوله: «**فَقَدْ هَلَكَ**»: (الهلاك الأبدي، وشقي الشقاء السرمدي).

قلت: هذا في حق من بلغ به الفتور إلى الردة ووافته المنية، وهو على ذلك، فنعوذ بالله ونستجير به من فتور يبلغ بنا إلى ترك ما أوجب الله، وارتكاب ما حرم الله!! فمن يأمن على نفسه من تمكن هذا الداء؟! وهانحن نرى ما فعله بإخوة لنا كانوا في القوة الدينية كالجبال، وكانوا في المسابقة إلى الخير كالسحاب، وكانوا في الحرص على إصلاح الناس كالآباء لأبنائهم، فلما حل الفتور بساحتهم تساقطوا من العز إلى الذل، ومن القوة إلى الضعف، ومن معالي الأمور إلى سفاسفها، وتحولوا من الإقبال إلى الإدبار، ومن الرغبة إلى النفرة، ومن البذل إلى المنع، ومن السخاء إلى البخل، فأحوالهم مردية، وأعمالهم مزرية، بعد التصفية والتنقية والصلاح والتحلية. فالحذر! الحذر! من الاستجابة للفتور، ومن الاستسلام لضعف الإيمان.

ماذا يصنع المؤمن القوي إذا اضطرب قلبه بسبب الأحداث الجسام

هذا الباب من أهم أبواب هذا الكتاب، فالمؤمن مبتلى بالضراء، فإن لم يوطن نفسه على الحق، فسرعان ما ينهار، وقد دلت الأدلة على خير ما نفعله عند اشتداد الفزع والخوف، ومن ذلك:

١- الإقبال على الصلاة وما صلاة الكسوف والاستسقاء عنا ببعيدة.

٢- الإكثار من أدعية الكرب، ومنها: ما رواه الترمذي (٣٨٦٦) عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا كربه أمر قال: «**يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**». ومنها ما جاء عند أحمد (١/ ٣٩١) واللفظ له، والطبراني في الكبير رقم (١٠٣٥٢) وفي الدعاء (١٠٣٥) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٩) وأبي يعلى (٥٢٩٧) وابن حبان رقم (٩٧٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنِّى عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِى كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِى عِلْمِ**

الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي. إِلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً». قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَلاَ نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: **«بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»**. وغير ذلك من الأدعية.

٣- قراءة آيات السكينة، فقد أنزل الله آيات السكينة عند حصول الخوف والحزن والاضطراب في الأمر، ومن ذلك: أن الله أنزل قوله تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ** ﴾[الفتح: ٤] عند مرجعهم من الحديبية، وكثير منهم حزينون ومضطربون في أمر الصلح؛ فأزال الله منهم هذا الاضطراب بإنزال آية السكينة. قال العلامة ابن القيم في "مدارج السالكين" (٣/ ٣٩٢): (وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة. وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة قال: فلما اشتد علي الأمر قلت لأقاربي ومن حولي: اقرؤوا آيات السكينة قال: ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قَلَبَة. وقد جربت أنا أيضا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرا عظيما في سكونه وطمأنينته).

وقال رحمه الله في "إعلام الموقعين" (٤/ ٢٥٤-٢٥٥): (وثمرة هذه السكينة: الطمأنينة للخير تصديقا وإيقانا، وللأمر تسليما وإذعانا، فلا تدع شبهة تعارض الخير، ولا إرادة تعارض الأمر، فلا تمر معارضات السوء بالقلب إلا وهي مجتازة من مرور الوساوس الشيطانية، التي يبتلى بها العبد؛ ليقوى إيمانه ويعلو عند الله ميزانه بمدافعتها وردها، وعدم السكون إليها).

صفات المؤمن القوي في القرآن:

لقد مدح الله المؤمنين الأقوياء في الإيمان بمدائح كثيرة، وأثنى عليهم ثناء متنوعا، وخصهم بخصائص جليلة، وميزهم بميزات كثيرة، فحري بنا أن نذكر ما تيسر من صفاتهم لتكون منا على بال وفي محل الاعتبار، وللسعي إلى الاتصاف بها في الليل والنهار، وفي الحضر والأسفار، وفي حال الأمن والأخطار، وهي كالآتي:

١- المتقون، سورة البقرة رقم (١٧٧).

٢- المخلصون، سورة الأعراف رقم (٢٩).

٣- الصالحون، سورة العنكبوت رقم (٢٧).

٤- القانتون، سورة الأحزاب رقم (٣٥).

٥- المحسنون، سورة آل عمران رقم (١٣٤).

٦- المهتدون، سورة التوبة رقم (١٨).

٧- المصلحون، سورة الأعراف رقم (١٧٠).

٨- المتمسكون، سورة الأعراف رقم (١٧٠).

٩- الخاشعون، سورة الأحزاب رقم (٣٥).

١٠- المطيعون، سورة البقرة رقم (٢٨٥).

١١- المنفقون، سورة آل عمران رقم (١٣٤).

١٢- الذاكرون الله كثيرا، سورة الأحزاب رقم (٣٤).

١٣- التائبون، سورة التوبة رقم (١١٢).

١٤- المتوكلون، سورة إبراهيم رقم (١٢).

١٥- الثابتون، سورة محمد رقم (٧).

١٦-الصادقون، سورة البقرة رقم (١٧٧).

١٧-الحافظون لحدود الله، سورة التوبة رقم (١١٢).

١٨-الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، سورة التوبة رقم (١١٢).

١٩-الأعزاء، سورة المائدة رقم (٥٤).

٢٠-الرحماء، سورة الفتح رقم (٢٩).

٢١-المقسطون، سورة الممتحنة رقم (٨).

٢٢-الموفون بعهد الله، سورة الرعد رقم (٢٠).

٢٣-الخائفون من الله الراجون رحمته، سورة الإسراء رقم (٥٧).

٢٤-الموالون لله ولرسوله، سورة المائدة رقم (٥٦).

٢٥-الغالبون، سورة المائدة رقم (٥٦).

٢٦-المفلحون، سورة المجادلة رقم (٢٢).

٢٧-الفائزون، سورة النور رقم (٥٢).

٢٨-المنصورون، سورة الروم رقم (٤٧).

٢٩-المجاهدون في الله، سورة العنكبوت رقم (٦٩).

وقد جمعت بعض الآيات كثيرا من صفاتهم ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[التوبة: ١١١].

وقولـــه ســـبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ

أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ١١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وبقيت صفات لهم كثيرة لم نذكرها؛ اكتفاء بما ذكرنا، وما ذكرنا فهو دليل على عظم ما منحه الله المؤمنين الأقوياء في الدين من صفات حميدة، فوا أسفا! على من ضيع نفسه، وهو يحسب أنه في القوة الإيمانية على شيء، وليس كذلك، فنعوذ بالله من الغفلة والضياع!!

الفصل الرابع:

تقوية الإيمان

أنواع تقوية الإيمان:

من عرف الداء احتاج إلى معرفة الدواء وقبوله، خصوصاً إذا كان الداء مهلكا أو مفسدا أو مضعفا، فالقبول للدواء في غاية الأهمية في هذه الحال، وإليك أنواعا من مقويات الإيمان، وهي ما يأتي:

١- الإكثار من الأدعية المأثورة في تثبيت القلوب وإصلاحها: والإكثار من هذه الأدعية مما يغفل عنه ضعفاء الإيمان أو يدعون، ولكن بدون صدق ولا إخلاص، فدونك ما عليه رسولك ﷺ، فقد جاء من حديث أنس ﷺ عند الترمذي برقم (٢١٤٠) واللفظ له، والحاكم (٢/ ٢٨٨) أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». ومن حديث النواس بن سمعان ﷺ عند الحاكم (٢/ ٢٨٩) أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**». وفي حديث أم سلمة أنه عليه الصلاة والسلام كان يكثر من ذلك. فإذا كان هذا حال النبي المعصوم ﷺ، فمن باب أولى أن نقتدي به في هذا الإقبال على الله والتضرع إليه، ولا يغيب عنا أن يكون هذا الدعاء نابعا من شدة الخوف على قلوبنا من الزيغ فيكون بإخلاص ورغبة ورهبة وافتقار إلى الله افتقارا كليا. ومن نفائس دعائه عليه الصلاة والسلام دعاؤه الذي علمنا فيه التضرع إلى الله؛ من أجل معرفة الحق عند الاختلاف والتنازع.

فقد روى مسلم رقم (٧٧٠) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إِذَا

قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ «**اللَّهُمَّ! رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ؛ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**».

٢- الإقبال على العلم الشرعي، كل حسب استطاعته: اعلم - أخا الإسلام - أن الله خلقنا لنعرفه، كما خلقنا لنعبده، فمعرفة الله شرط لعبوديته قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (١/ ٢٢٦-٢٢٧): (فدل على أن علم العباد بربهم وصفاته وعبادته وحده هو الغاية المطلوبة من الخلق والأمر) فالعلم بالله أصل كل خير ووسيلة إلى كل فضيلة، وفيه نعش الدين والدنيا، فقد أخرج ابن المبارك في الزهد رقم (٨١٧) وابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" رقم (١٠١٨) بسند صحيح إلى ابن شهاب أنه قال: (بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا: الاعتصام بالسنن نجاة والعلم يقبض قبضا سريعا، فنعش العلم ثبات الدين والدنيا، وذهاب ذلك كله في ذهاب العلم). فالله! الله! في التزود من العلم الشرعي في معرفة الله، ومعرفة دينه، ومعرفة أعدائه.

٣- المبادرة إلى الأعمال الصالحة: أيها المسلم، سابق الفتن بالأعمال الصالحة بحيث ما تأتي الفتن إلا وقد تحصنت بالأعمال الصالحة؛ فقد قال الرسول ﷺ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**». رواه مسلم رقم (٧٥٨٨) عن مَعْقِلِ بن يسار ﷺ. وروى أيضا رقم (١١٨) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ، فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا - أَوْ: يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا - يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**» رواه مسلم رقم:(٣٢٨).

٤- حفظ القلب والعقل من الأفكار الرديئة والشبه الخطافة: اعلم - أخا الإسلام - أن الغفلة كبيرة عن حفظ القلب والعقل من سموم الأفكار المسمومة والخواطر المذمومة، فلو وفق المسلم إلى هذه المحافظة لذهب عنه العنا، ونجا من الشقا، وسلم من الردى، وحقق الفوز في الدنيا والأخرى، ولأهمية الحفظ المذكور أنقل كلاما نفيسا في إصلاح الأفكار والإرادات للعلامة ابن القيم: قال في "الفوائد" (ص:٢٢٤-٢٢٧): (مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار؛ فإنها توجب التصورات، والتصورات تدعو إلى الإيرادات، والإيرادات تقتضي وقوع الفعل، وكثرة تكراره تعطي العادة. فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار، وفسادها بفسادها... ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد، فأنفع الدواء أن تشغل نفسك بالفكر فيما يعنيك دون ما لا يعنيك، فالفكر فيما لا يعني باب كل شر، ومن فكر فيما لا يعنيه، فاته ما يعنيه واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه).

٥- الصبر على مؤاذاة الخلق: لا ينبغي أن يخفى على المسلم أن الصبر في ذات الله ومن أجل مرضاته وإصلاح عباده، من أعظم العطايا الإلهية والمواهب الربانية، بل وأوسعها؛ فقد روى البخاري رقم (٦٤٧٠) ومسلم رقم (١٠٥٣) عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ، فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ لاَ أَدَّخِرْهُ عَنْكُمْ، وَإِنَّهُ مَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَلَنْ تُعْطَوْا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

فاصبر صبر الكرام؛ فلن تقدر على أن تسع الناس بمالك ولا بجاهك، ولكن ستسعهم بحسن خلقك وسعة صبرك.

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

٦- الحرص على ملازمة الأخيار وقبول نصائحهم: فالأخ المسلم قوي بإخوانه وعزيز بهم وسعيد بالبقاء معهم، إن كانت أخوته معهم أخوة دين تقوم على التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وعلى التآزر والتناصر والتشاور والتعاون على البر، قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨]. فإذا كان الله يأمر سيد الأولين والآخرين بالبقاء مع الفقراء الصالحين فنحن من باب أولى أن نحرص على اصطفاء الأخيار ونجعلهم إخوة لنا، تقدم أخوتهم على الأخوة الدنيوية، بل وعلى البنوة والأبوة والعمومة. وما قيمة الحياة الدنيا إذا حرم المسلم من المؤاخاة في الدين؟! وإياك! إياك! والتحرش للأخوَّة بما يفسدها بينك وبين إخوانك، فإن حصل ما يعكر صفاء الأخوة فالصبر والحلم بلسم هذا.

٧- الاتباع ظاهرا وباطنا لمنهاج النبوة: الاتباع لمنهاج النبوة ظاهرا وباطنا، ميزة أهل السنة والجماعة، وهذا الاتباع زيادة اصطفاء واجتباء وتوفيق من الله، فمتى صار المسلم يدور مع الحق حيث دار فهو المتبع لمنهاج النبوة، وهو السني الذي ليس بحزبي ولا بدعي والنجاة من الابتداع والتحزب فضل من الله يختص به من يشاء من العباد، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].

٨- الاتباع للصحابة رضي الله عنهم: لقد دعا الله المؤمنين في كل العصور إلى أن يتبعوا الصحابة، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقيد الله

هذا الاتباع بأن يكون بإحسان، لا أن يكون مجرد اتباع.

تقوية الإيمان بالإعداد والإمداد من الله:

اعلم أخا الإسلام أن قوة الإيمان تتجسد لصاحبها بالإعداد والإمداد له من الله القوي القدير، دلت على ذلك أدلة كثيرة، ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗ﴾ [الحجرات: ٧ - ٨]. وهذه الآية من أجمع الآيات للمدد من الله للمؤمنين؛ لأن الله -جل ثناؤه- ذكر أنه حبب الإيمان، فتحبيب الإيمان إلى القلوب لا يقدر عليه سواه، وأخبر أنه زينه، وأخبر أنه كره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، فما أعظمه من مدد رباني!! قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾[العنكبوت: ٦٩]، فوعد الله بالهداية إلى جميع سبله. ومن نفائس كلام العلماء في إمداد الله للمؤمنين، ما قاله العلامة ابن القيم في "مدارج السالكين" (١/ ٣١٢-٣١٣): (وتوبة العبد إلى ربه محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبة منه بعدها، فتوبته بين توبتين من ربه: سابقة ولاحقة؛ فإنه تاب عليه أولا إذنا وتوفيقا وإلهاما، فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيا قبولا وإثابة... وهذا القدر من سر اسميه الأول والآخر فهو المعد وهو الممد، ومنه السبب والمسبب... والعبد تواب والله تواب فتوبة العبد: رجوعه إلى سيده بعد الإباق. وتوبة الله نوعان : إذن وتوفيق، وقبول وإمداد).

وقال ابن أبي العز الحنفي في "شرح الطحاوية"(ص:٢٨٤): (اعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد والإعداد والإمداد، فإيجاد هذا خير وهو إلى الله وكذلك إعداده وإمداده، فإن لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر؛ بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضده).

فيا أيها المؤمن، اضرع إلى الله وأقبل عليه، يمدك بكل خير، ويدفع عنك كل ضير،

واستعن بمولاك القوي القدير ولا تعجز.

تقوية الإيمان بمعرفة سبيل المجرمين

من أعظم أسباب انحراف بعض المسلمين في عصرنا: جهلهم بالجاهلية العصرية جاهلية الشرق والغرب، المعروفة بالحضارة والنهضة والتقدم الأوربي والغربي، ولا خلاص لمن فتن بهذه الجاهلية من المسلمين، ولا تحرر، إلا أن يعرفوا سبيل هؤلاء الكفار معرفة شرعية، وقد فصل العلامة ابن القيم أهمية معرفة سبل أهل الكفر والعناد تفصيلًا حسنًا، فقال رحمه الله في كتابه"الفوائد" (ص:١٤٣-١٤٥):

(وأما من جاء بعد الصحابة فمنهم من نشأ في الإسلام غير عالم تفضيل ضده؛ فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين؛ فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما، كما قال عمر بن الخطاب: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية.اهـ

وهذا من كمال علم عمر ﷺ فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ﷺ، فإنه من الجاهلية؛ فإنها منسوبة إلى الجهل وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل، فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل، هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين ودعا إليها، وكفَّر من خالفها، واستحل منه ما حرمه الله ورسوله، كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم، ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفَّر من خالفها. والناس في هذا الموضع أربع فرق:

الفرقة الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل، علما وعملا،

وهؤلاء أعلم الخلق.

الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك.

الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها، فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل، وإن لم يتصوره على التفصيل...

الفرقة الرابعة: فرقة عرفت سبيل الشر والبدع والكفر مفصلة، وسبيل المؤمنين مجملة. وهذا حال كثير ممن اعتنى بمقالات الأمم ومقالات أهل البدع فعرفها على التفصيل ولم يعرف ما جاء به الرسول كذلك، بل عرفه معرفة مجملة، وإن تفصلت له في بعض الأشياء. ومن تأمل كتبهم رأى ذلك عيانا، وكذلك من كان عارفا بطرق الشر والظلم والفساد على التفصيل سالكا لها إذا تاب، ورجع عنها إلى سبيل الأبرار، يكون علمه بها مجملا غير عارف بها على التفصيل معرفة من أفنى عمره في تصرفها وسلوكها. والمقصود أن الله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه لتجتنب وتبغض، كما يجب أن تعرف سبيل أوليائه لتحب وتسلك. وفى هذه المعرفة من الفوائد والأسرار ما لا يعلمه إلا الله من معرفة عموم ربوبيته سبحانه وحكمته، وكمال أسمائه وصفاته وتعلقها بمتعلقاتها واقتفائها لآثارها وموجباتها، وذلك من أعظم الدلالة على ربوبيته وملكه وإلهيته وحبه وبغضه وثوابه وعقابه، والله أعلم).

فخذ هذا البيان، وعض عليه بالنواجذ.

أعلى قوة في المؤمنين وقلة أصحابها:

يتطلع المؤمن القوي إلى معرفة المتفوقين في القوة الإيمانية، ومعرفة ما يحقق ذلك، ولقد بين الله في كتابه ذلك، فقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وروى البخاري رقم (٢٨٠٥) ومسلم رقم (١٩٠٣) واللفظ له عن أنس بن مالك ﷺ قال: غاب عمي أنس بن النضر – سميت به – ولم يشهد بدرا مع رسول الله ﷺ فشق عليه فقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، وإن أراني الله مشهدا مع رسول الله فيما بعد، ليرين الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها. قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد. قال: فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له أنس: يا أبا عمرو، أين؟ قال: واها لريح الجنة! أجدها دون أحد فقاتل حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية. قال: فقالت أخته عمتي الربيِّع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه. ونزلت هذه الآية﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه).

وعن الزبير ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ: «**أَوْجَبَ طَلْحَةُ، حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ الله ﷺ مَا صَنَعَ**» يَعْنِي: حِينَ بَرَكَ لَهُ طَلْحَةُ، فَصَعِدَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى ظَهْرِهِ. رواه أحمد (١٤٣٣) واللفظ له، والترمذي (٣٧٣٨) وابن حبان (٦٩٧٩) والحاكم (٣/ ٣٧٣-٣٧٤).

وفي الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ الله لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**». رواه البخاري (٧٤٦٠) ومسلم (٥٠٦٤) من حديث معاوية ﷺ.

وقد فسرت الطائفة المنصورة بأنهم أهل الحديث؛ لأنهم خير من ينطبق عليه معنى

الحديث، ولا شك أنهم يدخلون دخولا أوليًّا فيها.

قال الخطيب البغدادي في"شرف أصحاب الحديث"ص(٢٨) وهو يتحدث عن أهل الحديث: (وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعه، وهدم بهم كل بدعة شنيعه، فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته. أنوارهم زاهره، وفضائلهم سائره، وآياتهم باهره، ومذاهبهم ظاهره، وحججهم قاهره، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيا تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه والعدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته. إذا اختلف في حديث، كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع. ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن. وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح لا يتجاسر، من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير).

أنواع القوة التي ينصر بها المؤمنون عند قتال أعداء الله:

إذا التقى جيش الرحمن وجيش الشيطان وحمي الوَطِيْسُ، كان النصر بإذن الله لأولياء الرحمن على عباد الشيطان، بما ذكره الله في كتابه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[الأنفال: ٤٥ - ٤٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "الفروسية" (ص:٥٠٥-٥٠٦) وهو يتكلم عن

هذه الآية: (فأمر المجاهدين فيها بخمسة أشياء، ما اجتمعت في فئة قط إلا نصرت، وإن قلت وكثر عدوها .

أحدها: الثبات.

الثاني: كثرة ذكره سبحانه وتعالى.

الثالث: طاعته وطاعة رسوله.

الرابع: اتفاق الكلمة وعدم التنازع الذي يوجب الفشل والوهن، وهو جند يقوي به المتنازعون عدوهم عليهم؛ فإنهم في اجتماعهم كالحزمة من السهام لا يستطيع أحد كسرها، فإذا فرقها وصار كل منهم وحده، كسرها كلها.

الخامس: ملاك ذلك كله وقوامه وأساسه، وهو: الصبر. فهذه خمسة أشياء تبتني عليها قبة النصر، ومتى زالت أو بعضها زال من النصر بحسب ما نقص منها، وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضا، وصار لها أثر عظيم في النصر، ولما اجتمعت في الصحابة لم تقم لهم أمة من الأمم، وفتحوا الدنيا، ودانت لهم العباد والبلاد، ولما تفرقت في من بعدهم وضعفت، آل الأمر إلى ما آل). اهـ.

قلت: هذا كلام رصين يعض عليه بالنواجذ، ومفهومه: أن المؤمنين المتصفين بما ذكر آنفا ينصرهم الله ويجبر ضعفهم في العدد والعدة؛ بقوة إيمانهم به، وحسن طاعتهم له ولرسوله ﷺ وإقبالهم عليه بالصدق والإخلاص والثبات والتوكل، ومن تأمل المعارك التي جرت بين المسلمين والكافرين وتحقق فيها النصر للمؤمنين على مر التاريخ، علم أن عدد المؤمنين وعددهم لا تساوي عدد الكافرين وعدتهم، ومع هذا ينزل النصر من الله لعباده.

أمر الله المؤمنين بإعداد القوة لقتال الكافرين

بعد أن ذكرنا القوة المعنوية نذكر في هذا البند القوة الحسية القتالية قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ

لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[الأنفال: ٦٠].
والآية تعم أي قوة يتقوى بها على مواجهة الكفار وقد فسرها الرسول ﷺ بالرمي، فقد روى مسلم (١٩١٧) وأبو داود (٢٥١٤) والترمذي (٣٠٨٣) وابن ماجه (٢٨١٣) وأحمد (٤/ ١٥٧) والطبراني (١٧/ ٩١١) وأبو يعلى (١٧٤٣) والبيهقي (١٠/ ١٣) وغيرهم من حديث عقبة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ. أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**». وما ذاك إلا لعظيم منفعة الرمي للمسلمين، ونكايته بالكافرين.

وقال البقاعي في "نظم الدرر" (٨/ ٣١٤): ﴿مِن قُوَّةٖ﴾ [الطارق:١٠] أي: قوة كانت، وفسرها النبي ﷺ بالرمي إشارة إلى أنه أعظم عدده، على نحو «**الْحَجُّ عَرَفَةُ**».

والرياضة على الرمي في عصرنا صارت أوسع منها قبل، فمنها: قيادة الطائرات والسيارات الحربية، والهبوط بالمضلات وغيرها.

وقال الإمام ابن القيم في كتاب "الفروسية المحمدية" (ص:٨٤): (وقد علم أن الفروسية والشجاعة نوعان، فأكملها لأهل الدين والإيمان، والنوع الثاني مورد مشترك بين الشجعان. وهذا مختصر في الفروسية الشرعية النبوية، التي هي من أشرف عبادات القلوب والأبدان، الحاملة لأهلها على نصرة الرحمن، السائقة لهم إلى أعلى غرف الجنان).

واعلم أن أول من يدخل في الأمر بالإعداد: ولاة الأمر، من ملوك ورؤساء وقادة وزعماء؛ لأنه يتهيأ لهم من هذا ما لا يتهيأ لغيرهم؛ للأمور الآتية:

١- أنهم الرعاة على شعوبهم، والراعي هو الحافظ المؤتمن، ومن أعظم الحفظ مجالدة الأعداء وقتالهم؛ حفظا لبيضة المسلمين.

٢- بأيديهم الأموال، فيقدرون على صرف ما يحتاج إليه؛ للإعداد.

٣- عندهم الرجال، فيقدرون على تجييش الجيوش، وحشد الأمة.

٤- العدو يسعى إلى أخذ ملكهم واستلابه منهم، فالإعداد منهم من أعظم أسباب بقاء ملكهم.

فإن لم يقوموا بالإعداد؛ من أجل الدفاع عن الإسلام وأهله، كانوا تاركين لما أمرهم الله به وأوجبه عليهم، وهذا تفريط كبير، وخذلان من الله لهم خطير، ومنذر بشر مستطير، وقد حصل هذا في واقعنا المرير؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!!

ولا يخفى علينا أن كثيرا من حكام المسلمين في عصرنا عندهم الجيوش الكثيرة والأسلحة المدمرة، لكن بليتهم أنهم لا يريدون إقامة الجهاد في سبيل الله؛ فهم خونة خانوا الإسلام والمسلمين نسأل الله أن يصلحهم أو يبدلنا من هو خير منهم، وإن أعدوا فليس للدفاع عن الإسلام، ولكن لحفظ ملكهم ومواجهة بعضهم بعضا، إلا من رحم الله.

من الهدي النبوي إظهار المؤمنين قوتهم أمام أعدائهم

مما لا ينبغي أن نغفل عنه في رسالتنا هذه هو: شرعية إظهار المؤمنين قواهم أمام أعدائهم، سواء كانت القوة دينية أو دنيوية، وسواء كانت حسية أو معنوية، ويكون إظهارها على حسب المصلحة المقتضية لذلك. ومن الأدلة الدالة على إظهار المؤمنين قوتهم: قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وروى البخاري رقم (١٦٠٢) واللفظ له، ومسلم رقم (١٢٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ الثَّلاَثَةَ، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ كُلَّهَا، إِلاَّ الإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ.

وروى البخاري رقم (١٦٠٥) واللفظ له، ومسلم رقم (١٢٧٠) عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب ﷺ قال للركن: «**أَمَا وَاللهِ! إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ،**

وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ. فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ قَالَ: فَمَا لَنَا وَلِلرَّمَلِ؟! إِنَّمَا كُنَّا رَاءَيْنَا بِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ أَهْلَكَهُمُ اللهُ. ثُمَّ قَالَ: شَيْءٌ صَنَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَلاَ نُحِبُّ أَنْ نَتْرُكَهُ».

وفي البخاري رقم (٩٨١) واللفظ له، ومسلم رقم (٨٩٠) عن أم عطية رضي الله عنها قالت: «**أُمِرْنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنُخْرِجَ الْحُيَّضَ وَالْعَوَاتِقَ، وَذَوَاتِ الْخُدُورِ - قَالَ ابْنُ عَوْنٍ أَوِ: الْعَوَاتِقَ ذَوَاتِ الْخُدُورِ- فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَشْهَدْنَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَدَعْوَتَهُمْ، وَيَعْتَزِلْنَ مُصَلاَّهُمْ**».

قال الطحاوي: (وأمره عليه السلام بخروج الحيض وذوات الخدور إلى العيد يحتمل أن يكون في أول الإسلام والمسلمون قليل، فأريد التكثير بحضورهن؛ إرهابا للعدو) نقلا من الفتح (٢/ ٦٠٦).

ومما يناسب في هذا المقام: ما اشتهر في سيرة أبي بكر الصديق ﷺ أنه لما توفي رسول الله ﷺ أمر الجيش أن ينفذ إلى الشام، وأبى أن يتركه عنده، فلما رأت الروم قدوم هذا الجيش قالوا: لو كان المسلمون ضعفاء ما أرسلوا بهذا الجيش. مع العلم أن الردة كانت في هذا الوقت قائمة.

ومن القوة التي بهرت عظماء الروم: ما قام به عبد الله بن حذافة السهمي ففي قصته: (أن ملك الروم قال لابن حذافة: تنصَّر. وهدده بالقتل بإلقائه في إناء يغلي بالحميم، فأبى عبد الله بن حذافة، فطلب منه ملك الروم أن يقبل رأسه؛ ليطلق سراحه، فأبى، فقال له: قبل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين. فقبله). وهي قصة مشهورة، وصالحة للتحسين من جهة سندها. انظر "الإصابة" (٢/ ٢٩٦-٢٩٧).

ومما حصل في عصرنا في عام (١٤٢٧هـ) أن صحيفة دانمركية قامت بنشر رسوم مسيئة للرسول ﷺ، فما كان من المسلمين في أنحاء العالم إلا أن قاموا بواجبهم في الدفاع عن رسول الله ﷺ واستخدموا أساليب عدة في التنديد بهذه الجريمة في حق الرسول ﷺ، ووصل بهم الأمر إلى أن قاطعوا المنتجات الدانمركية، كما علم هذا وصار لهذا الموقف آثار عظيمة، حتى

في نفوس الكفار حيث رأوا غيرة المسلمين على رسولهم ﷺ!!!

ومما يناسب أن يذكر هنا أن إعفاء اللحية له شأن كبير عند أعدائنا فصار الأعداء يخافون من صاحب اللحية أعظم من خوفهم من أصحاب النفوذ والملك من المسلمين، وهذا يدلك على أن عزة المسلمين في التمسك بالحق كليًّا وجزئيًّا.

القوة الخفية التي ينصر بها المؤمنون عند الشدائد:

لا يزال بعض المؤمنين يجهلون ما به تفرج الكربات ويكشف الضر وتدفع النقم، فقد روى الإمام أحمد (١/ ٣٠٨) واللفظ له، والبيهقي في "الشعب" (١٠٧٤) وفي "الأسماء والصفات" (٧٥-٧٦). وهو صحيح، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا**».

قال العلامة ابن رجب رحمه الله في "جامع العلوم والحكم" (١/ ٤٧٢-٤٧٤): (يعني أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرفه ربه في الشدة، ورعى له تعرفه إليه في الرخاء، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة. وهذه معرفة خاصة، تقتضي قرب العبد من ربه ومحبته له وإجابته لدعائه... وفي الجملة: فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه، عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته).

وإذا أردت أن تعرف ما يصنعه الله لمن تعرف عليه في الرخاء، فانظر إلى ما أخبرنا الله به عن نبيه يونس عليه السلام: قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الصافات: ١٣٩ – ١٤٧].

فهذا الإنقاذ ليس خاصا بيونس عليه السلام، بل يتفضل الله به على من يشاء من عباده المؤمنين، قال تعالى في يونس: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨] والشاهد قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨].

فللمؤمنين عند الله من كشف الكرب، ودفع الشدائد، ونزول النصر، وحصول التأييد، كمثل ما للأنبياء والرسل، فلله الحمد والمنة.

وإذا أردت أن تعرف ما تفعله المعاصي في الرخاء بأهلها في الشدة، فانظر إلى ما صنعه الله بفرعون وجنوده: قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩٠ - ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٧] فالله! الله! في التعرف على الله في الرخاء، فالرخاء غنيمة لكل مؤمن موفق، وفرصة كل صالح مسدد.

اجتماع القوة البدنية مع القوة الروحية نور على نور:

لقد حمل غير واحد من العلماء قول الرسول ﷺ «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ...**» على عموم القوة أي: الروحية والبدنية وهي داخلة فيه، وهذا أولى من حصر القوة في الحديث على القلبية والروحية؛ إن قوة البدن متى استخدمت استخداما شرعيا، فهي جالبة للمنافع الدينية والدنيوية، فكم تتعطل من أعمال القلب والجوارح النافعة؛ بسبب علل البدن، التي سببها عدم الرياضة النافعة، قال الإمام ابن القيم في كتابه "الطب النبوي" (ص:١٩٢) وهو يتحدث عن الرياضة البدنية:(ويؤمن جميع الأمراض المادية وأكثر الأمراض المزاجية إذا

استعمل القدر المعتدل منها في وقته، وكان باقي التدبير صوابا، ووقت الرياضة بعد انحدار الغذاء وكمال الهضم والرياضة المعتدلة هي التي تحمر فيها البشرة، وتربو ويتندى فيها البدن، وأما التي يلزمها سيلان العرق فمفرطة، وأي عضو كثرت رياضته قوي وخصوصا على نوع تلك الرياضة، بل كل قوة فهذا شأنها). اهـ .

وبسبب توسع المسلمين في الكماليات والرفاهيات البدنية، أدى ذلك إلى خمول الأبدان ونتج عن ذلك الأضرار البدنية والأمراض، ومن أعظم الدواء لهذه الأمراض: الرياضة من حركة ومشي وسباق ولياقة وغير ذلك. وقد بسطنا أنواعا من الرياضة البدنية في كتابنا "الرياضة النسويه مجمع المنكرات الظاهرة والخفيه"، فليرجع إليه من شاء.

من أسرار قوة المسلمين وانتصارهم على أعدائهم عنايتهم بالفقراء الصالحين

روى البخاري رقم (٢٨٩٦) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ؟!**» وظاهر هذا الحديث الإرسال. وقد ذكر الحافظ أن مصعباً رواه عن أبيه عند أبي بكر الإسماعيلي.

وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ابْغُونِى ضُعَفَاءَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ إِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**». رواه أبو داود رقم (٢٥٩٤) والنسائي (٣١٧٩) والترمذي رقم (١٧٠٢) وابن حبان رقم (٤٧٦٧) وأحمد (٢٢٣٦٣) والحاكم (٢/ ١٠٦) وهو صحيح، وقد أخرجه النسائي (٣١٧٨).

وفيه بيان صفة الضعفاء المعنيين فعن سعد بن أبي وقاص أنه ظن أن له فضلا على من دونه من أصحاب النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَـذِهِ الأُمَّـةَ بِضَـعِيفِهَا؛ بِـدَعْوَتِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ**».

وعند الترمذي برقم (٢٥١٦) عن أنس ﷺ قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ، والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: «**لَعَلَّكَ**

تُرْزَقُ بِهِ». وهو صحيح.

أيتها الأمة، اعرفي للفقراء المتمسكين بمنهاج النبوة حقهم؛ فالفقير الصالح خير من ملء الأرض من ذي جاه طالح؛ فقد روى البخاري رقم (٥٠٩١) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**». قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ. قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنَ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «**مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟**». قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا**». فأمة الإسلام يرزق وينصر أفرادها وشعوبها وحكوماتها؛ بسبب دعاء الفقراء الصالحين، وإخلاصهم دينهم لربهم.

فيا أيتها الأمة، لا تنفق عليك تلبيسات أعداء الإسلام في أهله وحملته؛ لأن أعداءنا يريدون أن تُضيِّع أمة الإسلام مقوماتها. وأنت أيها الفقير حافظ على الصلاح ولا تبغ به بديلا؛ فلك صولة وجولة في عالم الإسلام، واعتز بصلاحك واصبر على إهمال أمتك لك، والله جاعل لك فرجا ومخرجا، وجاعل فيك الخير لأمتك.

ضعف المؤمنين في دنياهم مع إقامة دينهم لا يضر بهم

الغالب على القائمين بنشر الإسلام والداعين إليه والعاملين به الضعف من جهة المال وغيره من أمور الدنيا، وهذا ليس بمنقصة في حقهم، بل هو محمدة؛ فقد روى البخاري رقم (٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة أبي سفيان مع هرقل، حينما وجه هرقل سؤالات عدة لأبي سفيان وفيها: «**وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل**».

وروى البخاري رقم (٢٨٩٦) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**هَلْ**

تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ؟!». فإذا كان هذا نفع الفقراء الصالحين لأمتهم، فأكرم وأنعم بهؤلاء الفقراء!!

فعلامة اتباع الرسل: الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة، جعلنا الله منهم.

الفصل الخامس:

الإجابة عن الشبه

من أسباب ضعف بعض المؤمنين تمكن الشبهة المخذلة والمثبطة له عن الانتصار للحق، فنسفها وإزهاقها مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

الشبهة الأولى: يقول بعض المسلمين المنهزمين: أنتم تقولون سينصر الله المؤمنين؛ لأنه قال: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧] فأين نصره لهم؟!! فهاهي الهزائم تتوالى عليهم وتقولون: العزة للمؤمنين؛ لأن الله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:٨] فلم نرَ العزة لهم، بل الحاصل الذلة والهوان، وتقولون: قال الله: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ [النساء:١٤١] وهانحن نرى أن الكافرين متسلطون على المسلمين، يبيدون خضراءهم، ويحصدون شعوبهم، ويملكون ديارهم وأموالهم؟

والجواب: هذه الشبهة خطيرة على أصحابها؛ لأنها أوصلتهم إلى الشك في وعد الله وحكمه وخبره. وأصل هذه الشبهة أن أصحابها لم يفهموا الآيات المذكورات فهما سديدا؛ لأنهم فهموا أن المراد بالمؤمنين العموم، فجعلوا هذا العموم شاملا لكل من ظهر منه الإيمان ولو كان مدعيا للإيمان كالمنافقين، وأدخلوا في هذا العموم: المبتدعة الضُّلَّالَ، والحاكمين بغير ما أنزل الله، والموالين لأعداء الله، باعتبار أنهم مؤمنون، وفاتهم أن الآيات المذكورة لا تعني عموم المؤمنين، بل هي خاصة بكاملي الإيمان، ويدل على أن المراد بالآيات المذكورة كاملو

الإيمان أمور:

الأول: الآيات الكثيرة التي فيها اقتران الإيمان بالأعمال الصالحة، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥] فتارة يأتي اقتران الأعمال الصالحة بعطفها على الإيمان، وهذا كثير جدا، وتارة يأتي بالشرط، كقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

وكقوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

والأعمال الصالحة تتحقق بأمرين **الأول**: أداء الأوامر، **والثاني**: اجتناب النواهي، فمتى تحقق هذان الأمران دل هذا على أن المؤمنين أهل لأن ينصرهم الله، واعتبر بنصر الله للصحابة في كثير من الغزوات والمعارك على الكفار، وهذا أمر معلوم بالضرورة.

الثاني: الآيات الدالة على عقوبة الله للصحابة، حينما حصل منهم المخالفة الجزئية، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، فهذه الآيات تتحدث عما حصل للصحابة في

غزوة أُحُدٍ، من فرارهم وتسليط المشركين عليهم؛ فقتلوا سبعين منهم. وهذا الذي حصل لهم سببه التنازع، الذي حصل بين الصحابة الذين كانوا على الجبل في النـزول لأخذ الغنيمة، بعد أن أمرهم الرسول ﷺ بالبقاء على الجبل وألاينـزلوا، فحصل النـزول من كثير منهم، وكان هذا مخالفة ومعصية للرسولﷺ فجرى على الصحابة ما جرى. وأيضا في غزوة حنين حصل الفرار في أول المعركة من كثير من المسلمين، وسبب ذلك: الإعجاب بالكثرة.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥] فإذا حصل للصحابة ما ذكرنا من العقوبة من الله والتأديب لهم وتأخير النصر أو رفعه عنهم - وهم الأقوياء في الإيمان؛ بدليل هجرتهم ونصرتهم وجهادهم في سبيل الله وإنفاقهم أموالهم في سبيل الله- فمن باب أولى ألا يحصل النصر من الله لضعفاء الإيمان، فكيف لو اشتد الضعف وكيف لو كثرت الانحرافات في المؤمنين الضعفاء، كما هو الحاصل في عصرنا، حتى شبَّ عليها الصغير، وشاب عليها الكبير؟!!

الثالث: كلام أهل العلم الدال على أن نصر الله لا يتحقق للمؤمنين إلا بالتمسك بدين الإسلام، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله في كتاب "الاستغاثة" (٢/ ٧٣٨): (فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم، نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا، ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلا؛ لما صح من تحقيق توحيد الله تعالى وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك؛ فإن الله تعالى ينصر رسوله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد).

وقال العلامة ابن القيم في "إغاثة اللهفان" (٢/ ٩١٣): (وكذلك النصر والتأييد الكامل إنما هو لأهل الإيمان الكامل، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤] فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد... وبهذا يزول الإشكال الذي يورده كثير من الناس على قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: ١٤١].

وقال العلامة الشنقيطي في"أضواء البيان"(٧/ ٤٥١-٤٥٢) عند قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج: ٤١]: (يدل على أن الذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ليس لهم وعد من الله بالنصر البتة. فمثلهم كمثل الأجير الذي لم يعمل لمستأجره شيئاً، ثم جاءه يطلب منه الأجرة. فالذين يرتكبون جميع المعاصي، ممن يتسمون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا، مغرورون؛ لأنهم ليسوا من حزب الله الموعودين بنصره، كما لا يخفى).

وقال المفسر السعدي عند هذه الآية (ص:٥٧٣) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة: ٩]: (فقام صدر هذه الأمة من الإيمان والعمل الصالح بما يفوقون على غيرهم، فمكنهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن التام والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويديلهم في بعض الأحيان؛ بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح).

الرابع: وجود أسباب عصرية حالية لهزيمة المسلمين أمام أعدائهم، ومن هذه الأسباب الآتي:

١- التواطؤ مع الأعداء؛ ليتحقق للأعداء النصر على المسلمين: ويكون تواجد جيش

المسلمين مجرد مظهر، كما حصل هذا من حكام العرب المجاورين لفلسطين، فقد ظلت الجيوش العربية بدون أسلحة كافية لمواجهة الجيش اليهودي، وبدون أوامر بالمواجهة له في الوقت الذي يقصف العدو ويكتسح البلاد، فمن أين سيأتي النصر والحال هذه؟! وليس هذا التواطؤ مقصورا على فلسطين، بل حصل هذا في غير فلسطين.

٢- الاعتماد على الأعداء: فبعض حكام المسلمين يعتمدون على الأعداء في تمويل المعارك القتالية بالمال، والأعداء تارة يؤخرون المال؛ حتى تحصل الهزيمة، وتارة يفرضون شروطاً تكبل المقاتلين المسلمين، مما قد يؤدي إلى انهزامهم.

٣- اعتمادهم على الأعداء من جهة المدد بالأسلحة: يحصل أن بعض زعماء المسلمين يبرمون اتفاقيات مع جهات كافرة على المدد بالأسلحة عند نشوب قتال أو استمراريته أو هما معا مع جهة من الجهات، فيقوم الأعداء بالحيل التي تعرقل الوفاء بهذا الاتفاق مما يؤدي إلى الهزيمة.

وبقيت أسباب غير هذه. وعلى كل: الحاجة ماسة إلى فهم القرآن والسنة فهما صحيحا، فليقبل المسلمون على ذلك وليعلموا علم اليقين أن من أعظم أسباب تسليط الأعداء عليهم تفرقهم وتمزقهم إلى أحزاب متناحرة تقاتل المسلمين وتناصر الكافرين، فلنرجع إلى أنفسنا ولنفتش عن مخالفتنا لشرع الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الشبهة الثانية: التشكيك في الانتفاع بالجهود التي يقوم بها المتمسكون بمنهاج النبوة

يقوم المتمسكون بدينهم بأنواع من الإصلاح، ويشاركهم فيه من يشاركهم من المصلحين، فيأتي ضعفاء الفهم والعمل للإسلام، ويتفوهون بكلمات، كقولهم: (أنت تنفخ في رماد) وكقولهم: (أنت في عصر كثر فيه المخربون) و (مخرب غلب ألف عمار)، فكيف إذا كان المخربون ألفا والعمار واحدًا، وأمثال هذه الكلمات التثبيطية والتخذيلية، ويقال لهؤلاء:

أربعوا على أنفسكم، فما على المحسنين من سبيل، فالخير الذي يقوم به المصلحون منافعه خاصة وعامة وظاهرة وباطنة، ومما يتحقق فيها الآتي:

أ- إقامة الحجج على الناس، فتبرأ ذمة الدعاة والعلماء عند الله.

ب- حصول الهداية والتقوى لمن شاء الله من العباد حسب حال الداعي وحال المدعو، ففي أماكن ينتشر الخير انتشارا واسعا، وفي أماكن ينتشر بصورة: أقل، قال تعالى: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

ج- الداعي إلى الخير يصير قدوة حسنة وينجو من أن يكون قدوة سيئة، وهذه القدوة الظاهرة ينتفع بها في الحاضر وفي المستقبل، انظر كيف يمدح الله هذه القدوة الحسنة، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٣ – ١١٥].

د- تحقيق السنة الإلهية الكونية والتسليم لله في قضائه وقدره في أن الحق والباطل في صراع، حتى تقوم الساعة.

هـ- الخير الذي يحققه الله على أيدي القائمين به هو أصل لإقامة الجهاد في سبيل الله وإقامة الشريعة ونشر العدل بين الناس وغير ذلك، فعلى من يأتي ليصلح أن يواصل في الإصلاح.

ه- إظهار عزة الحق في أهله، ألا ترى أن المتمسك بدين الله معتز بالحق منابذ للاعتزاز بالجاهلية، ألا تراه منتصرا على شياطين الجن والإنس؟! فكم يحاولون إيقافه وجعله معهم أو مشاركا لهم فيما يريدون من فساد، فلا يقدرون عليه؟! وأي عزة بالحق أعظم من هذه؟!

و-رفعة الدرجة عند الله، فصاحب الحق يرفعه الله بقدر ما رفع الحق، وصاول وجاول في نشره، فيصير من عباد الله وأوليائه وأحبابه والمقربين عنده والمنصورين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢]. وكأني بأصحاب هذه الشبهة يقولون: نريد أن يتحقق في عصرنا من الخير ما كان في عهد الخلافة الراشدة، وإلا فلا عمل للإسلام. وهذا جهل بسنن الله الكونية، وبما أخبرت به شريعة الله من تغير حال المؤمنين. فهذه الشبهة تجعل أصحابها أعجز المسلمين، وأعظمهم فشلا، وأقلهم خيرا. فالله! الله! في التفقه في الدين، والرجوع إلى أهل العلم.

الشبهة الثالثة: الاستسلام لمسايرة الأحوال العصرية:

يقول صنف المساومة بالإسلام لموافقة الاتجاهات العصرية: لا دعوة إلا بحزب؛ لأن عصرنا عصر التكتل والتحزب. ويقول أيضا: لا بد أن نساير الحضارة؛ فلا داعي للتشدد والتنطع. ويقول: لا يقدر الداعية يدعو ويكون له قبول، إلا بأن يساير الأعداء. وغير ذلك من أقوالهم.

والجواب عن هذه الشبهة من عدة وجوه:

١- السير على ما قاله أصحاب هذه الشبهة يتضمن التقول على الله وعلى رسوله ﷺ؛ لأنهم يجعلون هذا السير من الإسلام، وهذا ينافي أنهم مبلغون عن الله ورسوله ﷺ، منفذون لما جاءت به الشريعة، بل سيكونون مشرعين، وهنا يقعون على أم رؤوسهم، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]. ألا فليعلم المؤمنون، خصوصا العلماء والدعاة إلى الله، أنهم ليسوا مفوضين في شرع الله، فلو جعلوا أنفسهم كذلك لكانوا أربابا من دون الله.

٢- السير الذي ذكره أصحاب الشبهة هو مطلب الكفار، فالاستجابة لهم إلى ذلك خطرها عظيم على من استجاب لهم قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥]، فأعداء الإسلام يودون أن نقبل شيئا مما هم عليه، ولو بذلوا مالا، ولو جعلوا لمن استجاب لهم جاها.

٣- إذا فتح هذا الباب استغله كل من يريد أن يتوصل إلى ما يحبه، فهذا يبيح المحرمات، وهذا يترك الواجبات، وهذا يهدم الولاء للمسلمين والبراءة من الكافرين، وهذا يدعو إلى وحدة الأديان، وهنا يتسع الخرق على الراقع، وهيهات! هيهات! أن يبقى الإسلام والمسلمون في عافية، بل يذوب المسلمون بين الكفار، ويظهر الفجار والفساق على الأخيار والأبرار، ويصير المسلمون في أمر مريج، فلا تقوم للإسلام قائمة، ولا ترفع للمسلمين راية، ولا تثبت لهم ولاية، والحال هذه. فالتوجه من علماء المسلمين ودعاتهم إلى موافقة الكفار فيه ما لا تحمد عقباه، كما هو الواقع والمشاهد في عصرنا؛ فقد ظهرت الدواهي من هذا الصنف. واعتبر بالنسبة للعلماء المسايرين لما يريده الأعداء ولما يوافقونهم عليه بالأمثلة الآتية: المثال الأول: مسايرة القرضاوي للأعداء حتى بلغ به الانحراف والاضطراب إلى مشاركته في دعوة وحدة الأديان، وهي دعوة إلى الردة عن الإسلام. فماذا تنتظر من وراء هذه المسايرة الخاسرة؟ وقد أفردنا تخبطاته في مسايرة الأعداء من يهود ونصارى في رسالة مستقلة بعنوان "تبصير الحيارى مواقف القرضاوي من اليهود والنصارى" وهي مطبوعة والحمد لله. وأما بالنسبة للمثال الثاني فاعتبر بعمرو خالد المصري، فهذا الرجل بوق للدول الغربية عدو للمسلمين، يدعو إلى الفساد باسم الإسلام، وقد فضحناه وكشفنا عن مخازيه في رسالة لنا بعنوان "إعانة

الأماجد في بيان حال عمرو خالد" وهي مطبوعة، وفضحه غير واحد من العلماء والدعاة، وله زميلان أفجر منه أحدهما طارق السويدان فإلى جانب أنه داعية إلى ما يريده الغرب فهو أيضا رافضي، والرفض جرثومة خبيثة، فلأن يبتلى المسلم بكل شر أهون من أن يبتلى بالرفض، وثانيهما الجفري فإلى جانب أنه داعية إلى الفساد الغربي فهو يدعو إلى التصوف المشتمل على التصوف البدعي والخرافي والشطحي، وقد ألفت مؤلفات أبانت صوفيته، وقد اغتر به بعض الملوك في الخليج العربي وأطلقوا له العنان في نشر ضلالته، أسأل الله أن يبصرهم بضلاله، وأن يعينهم على إيقافه عند حده.

الشبهة الرابعة: قول بعضهم: إذا رأى صنف التكاسل والتخاذل عن التمسك بالإسلام من يجاهد نفسه ويسعى إلى إصلاح مجتمعه، ورآه يحذر من أنواع المنكرات ويدعو إلى المحافظة على الواجبات هذا ممن يلقي بنفسه إلى التهلكة.

والجواب: هذا استدلال في غير محله فالآية الكريمة: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] لم تنزل فيمن ينشر الحق ويدعو إليه ولا تدل على ذلك لا بسبب نزولها ولا بعموم معناها. أما سبب نزولها فقد صح عند البخاري رقم (٤٥١٦) عن حذيفة قال في هذه الآية: (نزلت في النفقة).

وعند الترمذي رقم(٢٩٧٢) واللفظ له، وأبي داود رقم(٢٥١٢) والطيالسي رقم(٥٩٩) وابن حبان رقم (٤٧١١) والبيهقي (٩/ ٤٥) والحاكم (٢/ ٨٤-٨٥) وصححه، وصححه الألباني وشيخنا الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النـزول" (ص:١٩) عن أسلم بن عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيما من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم، حتى دخل فيهم، فصاح الناس، وقالوا: سبحان الله!

يلقي بيديه إلى التهلكة. فقام أبو أيوب فقال: يا أيها الناس، إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلاَمَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ، وَإِصْلاَحَهَا. وَتَرَكْنَا الْغَزْوَ، فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ الله حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ».

وعن أبي جَبِيْرَةَ بن الضحاك ﷺ قال: كان الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله فأصابتهم سنة فأمسكوا؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أخرجه الطبراني (٢٢/ ٣٩٠) وهو صحيح.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] كان الرجل يذنب فيقول: لا يغفر الله لي. فأنزل الله ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ رواه الواحدي في "أسباب النزول" (ص:٣٨) والبيهقي في الشعب (٧٠٩٢) وذكر شيخنا الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النـزول" (ص:٢٠) عن الهيتمي قوله: (ورجالها رجال الصحيح).

وقد جاء عن البراء نحو حديث النعمان، وصحح الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ٢٥١) إسناده. فهذه الأسباب المتعددة تنص على أن التهلكة في الآية هي: ترك ما أوجب الله من نفقة وغزو وتوبة إلى الله.

وظاهر الآية أنها في ترك الإنفاق في الجهاد، ومن باب أولى أن تكون في حق من لم يجاهد في سبيل الله، وليس له عذر؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١] فعلى هذا فيدخل في عموم التهلكة: القعود عما أوجب الله، والترك لذلك من تفقه وجهاد وغير ذلك، فهؤلاء اللائمون لا يفقهون حديثا؛ إذ لو فقهوا لباركوا لهذا المصلح وأعانوه على ذلك وشجعوه. نعم، لا يعرض الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر نفسه لما لا يطيق من العذاب، قال أبو بكر بن العربي: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين، وعمدة من عمد المسلمين، وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من فائدة بعث النبيين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى، بشرط القدرة والأمن). نقلا من "السراج المنير في ترتيب أحاديث الجامع الصغير" (١/ ٧٢).

والمراد من كلامه (بشرط القدرة والأمن): أن من وجدت عنده القدرة دعا، ومن لم يتحقق له الأمن، ولا يطيق التحمل، فليدع بما يستطيع.

الشبهة الخامسة: قول بعضهم: عليك بإصلاح نفسك، واترك الناس وشأنهم؛ فالزمان زمان عزلة. ويستدلون بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

والجواب عن هذه الشبهة بالآتي:

١- فهم الآية المذكورة بهذا الفهم قد حصل في عهد الصحابة، ولكنه غير سديد؛ فقد روى الإمام أحمد (١/ ٥) وأبو داود رقم (٤٣٣٨) والترمذي رقم (٢١٦٨) وابن ماجه رقم(٤٠٠٥) عن قيس بن حازم قال: قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه، وقال: (يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**». وهو حديث صحيح موقوفا ومرفوعا، كما في العلل (١/ ٢٤٩) للدارقطني رفعه، فيكفيك أيها المتحري

للحق هذا الحديث. وإن أردت المزيد فهاهي أقوال أهل العلم بين يديك: قال ابن عطية في تفسيره (٥/ ٧٦): (لا ينبغي أن يعارض بها شيء مما أمر الله به في غير ما آية، من القيام بالقسط، والأمر بالمعروف).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢١٢): (وليس في الآية مستدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا كان فعل ذلك ممكنا). وقال الشنقيطي في "أضواء البيان" (٢/ ١٢٩): (قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده، فلم يقبل منه المأمور، وذلك في قوله ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]؛ لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد، وممن قال بهذا حذيفة، وسعيد بن المسيب، كما نقله عنهما الألوسي في تفسيره، وابن جرير، ونقله القرطبي عن سعيد بن المسيب، وأبي عبيد القاسم بن سلام، ونقل نحوه ابن جرير عن جماعة من الصحابة، منهم: ابن عمر وابن مسعود).

قال ابن الجوزي في "نواسخ القرآن" (ص:١٥١): (لما عابهم في تقليد آبائهم بالآية المتقدمة، أعلمهم بهذه الآية: أن المكلف إنما يلزمه حكم نفسه، وأنه لا يضره ضلال من ضل إذا كان مهتديا، حتى يعلموا أنه لا يلزمهم من ضلال آبائهم شيء من الذم والعقاب، وإذا تلمحت هذه المناسبة بين الآيتين لم يكن الأمر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هاهنا مدخل. وهذا أحسن الوجوه في الآية). وأدلة وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع المؤمنين كثيرة، بشرط القدرة والأمن، كما سبق آنفا.

٢- الآية المذكورة تخاطب جميع المؤمنين وتأمرهم، والخطاب والأمر موجهان إليهم في كل مكان وزمان وحال ومآل بدءا بالصحابة بأن يصلحوا أنفسهم، ولا يتم لهم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهما من أعظم الواجبات على عموم المؤمنين عند القدرة

والأمن، فلو أن بعض المؤمنين ترك الأمر بالمعروف بدون عذر شرعي، لكان تاركا لما أوجب الله مخالفا للآية الكريمة، ولو اقتصر على العمل بالآية، كما فهم أصحاب الشبهة، لما قام دين الإسلام ولعمت الفواحش والمنكرات. اللهم سلم! سلم!

٣- لا يتحقق للمؤمنين الكفاية لهم من الله والنصر، بحيث لا يضرهم أعداؤهم، كما ذكرت الآية إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الأعداء ييأسون من إفساد المؤمنين، حينما يرونهم متمسكين بدينهم، مقيمين له أمرا ونهيا ودفاعا. ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٣] فحصل يأس الكفار من النيل من دين الصحابة حينما صار الصحابة قائمين بدين الله، والصحابة كانوا أعظم المؤمنين قياما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا هو الواجب على المؤمنين في جميع العصور إلى قيام الساعة، كل بحسب قدرته واستطاعته. ومما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب حصول النصر، قول الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١] قال العلامة الشنقيطي رحمه الله في "أضواء البيان" (٥/ ٧٦٦) وهو يشرح الآية المذكورة: (وفي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١] الآية دليل على أنه لا وعد من الله بالنصر إلا مع إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. فالذين يمكن الله لهم في الأرض ويجعل الكلمة فيها والسلطان لهم، ومع ذلك لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، فليس لهم وعد من الله بالنصر؛ لأنهم ليسوا من حزبه، ولا من أوليائه الذين وعدهم بالنصر، بل هم حزب الشيطان وأوليائه، فلو طلبوا النصر من الله بناء على أنه وعدهم إياه، فمثلهم كمثل الأجير الذي يمتنع من عمل ما أجر عليه ثم يطلب الأجرة، ومن

هذا شأنه فلا عقل له). ويقول السيد محمد رشيد رضا[1] في "تفسيره المنار" (١٠/ ٥٤٢) وهو يتحدث عن الآية المذكورة: (بهذه الصفات الأربع المذكورة في الآية الكريمة فتح المسلمون الفتوحات ودانت لهم الأمم تطوعا وبتركها سلب أكثر ملكهم، والباقي على وشك الزوال، إن لم يتوبوا إلى ربهم ويرجعوا إلى هداية ربهم، ولاسيما إقامة هذه الأركان منه).

٤- إذا لم يأمر المؤمنون بالمعروف وينهوا عن المنكر، دعاهم أهل الفجور والكفر إلى ما هم عليه من الضلال والمنكرات، وهنا لا تتحقق لهم السلامة في دينهم التي ذكرتها الآية. ولقد صار المسلمون المنعزلون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، متبعين لأعداء الإسلام محاربين لكثير من أمور الخير، فالعمل بالآية على ما قاله أصحاب الشبهة يلقي بالمسلمين إلى أخطار عظيمة.

٥- الميزة العظمى لأمة الإسلام على غيرها من الأمم هي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما هو معلوم. فمتى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، افتقدت أمة الإسلام عظمتها والخصيصة العظمى لها، ألا فليتق الله المسلمون، وليأمروا بالمعروف ولينهوا عن المنكر، فيا لله! كم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مصالح ومنافع، لا يحصيها إلا الله! وخلاصة القول: أنه يجب على المؤمنين أن يتعاونوا على البر والتقوى، ولا يجوز لهم التعاون على الإثم والعدوان.

وبهذا الباب أكون قد انتهيت من رسالتي هذه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) يُعد السيد محمد رشيد رضا رحمه الله من تلامذة الزائغ محمد بن عبده المصري، وقد تأثر به في مسائل عقدية وغير ذلك، وبسبب ذلك التأثر وقع فيما وقع فيه من زلات وهنات في بعض كتاباته، ولبيان ذلك انظر كتاب: «ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر» لشيخنا الوادعي، وكتاب: «حياة الألباني» للشيباني (١/ ٤٠١) فما بعدها.

الفهـــــــــارس

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الفصل الأول: الكلام على عموم الضعف وأقسامه ٧

تعريف الضعف: ٧

الأصل في الإنسان: الضعف ٧

الضعف الذاتي في عموم الناس: ٨

الفصل الثاني: الضعف الحاصل في المؤمنين ١١

أنواعه – أصوله – أسبابه – عواقبه ١١

ضعف المؤمنين وقوتهم بقضاء الله وقدره ١١

الضعف في المؤمنين يكون على قسمين: ديني ودنيوي ١٢

ضعف المؤمن كسبي ووهبي ١٢

المؤمن الضعيف يجتمع فيه الضعف الحقيقي والنسبي ١٣

ضعف المؤمن على قسمين: ضعف ظاهر، وضعف خفي ١٤

الضعف الذي ابتلي به كثير من المؤمنين إما في الأمور العلمية أو العملية: ١٤

بداية ضعف المؤمن ونهايته ١٥

الأدلة النصية على ضعف إيمان المؤمن ١٧

الأدلة العامة في القرآن على المؤمن الضعيف ١٩

الأدلة المعنوية من السنة النبوية على المؤمن الضعيف ٢٠

إخبار النبي ﷺ عن بداية الضعف في المؤمنين ٢٤

كلما بعد المؤمنون عن عصر النبوة زاد ضعفهم: ٢٦

أعداء المؤمن الذين جلبوا عليه ضعف إيمانه: ٢٧
العدو الأول: النفس ٢٧
العدو الثاني: الهوى ٢٩
العدو الثالث: شياطين الجن: ٣٢
العدو الرابع: شياطين الإنس من الكفار والمنافقين: ٣٥
العدو الخامس: الدنيا: ٣٧
أكبر سبب ضعف المؤمنين: الجهل بما جاء به الرسول × ٤٠
ضعف المؤمن ناتج عن تمكن الشهوات والشبهات منه ٤١
أهل البدع والتحزب أساس ضعف المؤمنين: ٤٣
الصنف الأول: الخوارج: ٤٣
الصنف الثاني: السبئية: ٤٤
الصنف الثالث: القدرية: ٤٥
الصنف الرابع: الطائفة القرآنية الضالة ٤٥
الصنف الخامس: المرجئة: ٤٦
الصنف السادس: الجهمية والمعتزلة ٤٧
الصنف السابع: الصوفية: ٤٨
الصنف الثامن: الأشعرية والماتريدية: ٤٩
الصنف التاسع: الأحزاب المبتدعة: ٤٩
كثرة تفريق أهل البدع والتحزب للمؤمنين مما زاد في ضعفهم ٥٠

كلام أهل العلم على الضعف الذي لحق بالمؤمنين بسبب أهل البدع والتحزب والضلالات ٥٢
استمرارية ضعف المؤمنين بسبب إصرار أهل البدع والتحزب قديما وحديثا على بقاء بدعهم ٥٥
استمرارية ضعف المؤمنين المتبعين لأهل البدع والأحزاب حتى يهلك الله الملل كلها ٥٦
ازدياد ضعف المؤمنين في عصرنا ٥٧
اشتداد ضعف المؤمنين قرب خروج الدجال ٥٩
أنواع أمراض قلب المؤمن الضعيف بداية ونهاية ٦٠
التلازم بين ضعف قلب المؤمن وضعف جوارحه ٦٣
الحجب العشرة التي تحجب قلب المؤمن الضعيف عن الله ٦٥
ضعف المسلمين المختلطين بالكافرين: ٦٦
ضعف المؤمنين حاكمهم ومحكومهم أدى إلى تسليط أعداء الإسلام عليهم وجعل بأسهم بينهم شديداً ٦٨
ضعف حكام المسلمين وانحرافهم ٦٩
الحكام الضعفاء يقيمون الحدود على الضعفاء، ولا يقيمونها على الأقوياء ٧١
كثير من حكام المسلمين من صناعة أعداء الدين ٧٢
ضعف العرب وضرره على المسلمين: ٧٦
إذا جاهر المؤمن بالمنكرات والبدع فضعفه هلاك ٨٢
إذا وصل الضعف بالمؤمن إلى انتهاك الحرمات في الخلوات، فهذا من المهلكات ٨٤
الفتن تظهر الضعف الكامن في باطن المؤمن: ٨٤

حال عقول المؤمنين عند مشاركتهم في القتال والدماء:..... ٨٦
ضعف الإيمان يوصل إلى الإفلاس..... ٨٨
إقسام الله أنه سيظهر المؤمن الضعيف والمؤمن القوي: ٩٠
انتشار الإسلام في بلاد الكفار مع ضعف المؤمنين، إلا من عصمه الجبار..... ٩١
شأن المنافقين التظاهر بقوة الإيمان مع تمكن الضعف منهم في الباطن ٩٣
أسباب ضعف دعاة البدع والتحزب..... ٩٤
الفصل الثالث: نبذة عن المؤمن القوي ١٠١
عافية أمة الإسلام في أولها وسيصيب آخرها بلاء..... ١٠١
المؤمن القوي ينصره الله على شياطين الجن والإنس..... ١٠٢
المؤمن القوي يواجه كل ما يصعب على غيره بإذن الله..... ١٠٣
المؤمن القوي يصرف قواه القلبية في مرضاة الله..... ١٠٥
المؤمن المقتصد قوي الإيمان، والسابق بالخيرات أقوى منه ١٠٦
لا يكفي المؤمن أن يكون عنده قوة إيمان، حتى يضم إليه مقوماته ١٠٧
وسطية المؤمن القوي واعتداله حال السراء والضراء..... ١٠٩
المؤمن القوي يدب فيه الضعف:..... ١٠٩
ماذا يصنع المؤمن القوي إذا اضطرب قلبه بسبب الأحداث الجسام ١١٠
صفات المؤمن القوي في القرآن: ١١٢
الفصل الرابع: تقوية الإيمان..... ١١٥
أنواع تقوية الإيمان: ١١٥
تقوية الإيمان بالإعداد والإمداد من الله:..... ١١٩

تقوية الإيمان بمعرفة سبيل المجرمين ١٢٠
أعلى قوة في المؤمنين وقلة أصحابها: ١٢٢
أنواع القوة التي ينصر بها المؤمنون عند قتال أعداء الله: ١٢٣
أمر الله المؤمنين بإعداد القوة لقتال الكافرين..... ١٢٤
من الهدي النبوي إظهار المؤمنين قوتهم أمام أعدائهم ١٢٦
القوة الخفية التي ينصر بها المؤمنون عند الشدائد:..... ١٢٨
اجتماع القوة البدنية مع القوة الروحية نور على نور: ١٢٩
من أسرار قوة المسلمين وانتصارهم على أعدائهم عنايتهم بالفقراء الصالحين ١٣٠
ضعف المؤمنين في دنياهم مع إقامة دينهم لا يضر بهم..... ١٣١
الفصل الخامس: الإجابة عن الشبه..... ١٣٣